قَدَر

خولة محمد جميل

إهداء

إلى كل الأشياء التي كسرتني

وجعلت مني شخصا يرسم أحزانه على شكل كلمات بائسة

إهداء 2

"من خاطرة نكتب رواية"

شكرا لكل كلمة قلتها وكانت سببا في جعلي أحمل قلمي وأحاول ترك أثر

شكرا علاء سرحان

عزيزي/تي القارئ/ة إن كنت أعزبا أو متزوجا أريد أن أقول لك لا تنجب الأطفال إن كنت تعرف نفسك أنك لن تكون سندا لهم

وإن حدث وأنجبت وكانت فتاة كن صديقا لها قبل أن تكون أبا

كن رفيق درب لأطفالك ، شجع طموحهم حتى وإن بدى لك تافها

كن قدوة ولا تحمل على ظهرك ذنب أولادك

هذا منزل والدك ، أصبح الآن سِجنك
_لماذا؟ ألا يحق لي العيش؟
أنتِ مطلقة، والمطلقة في عائلتنا تُسجن حتى نُزوجها لِمن يرغب بها.
_نبيكم عليه الصلاة والسلام قال: " واستوصوا بالنساء خيرا"
ونحن نحافظ عليك في منزل والدك حتى لا تجلبين العار.
_لستُ عار أنا إمرأة
بل أنتِ مطلقة...!

11_22_2017

فتاة في سن السابعة عشر من عمرها، في طريقها إلى المنزل أو كما تسميه "عُشي الدافئ" ، ترتدي ملابس المدرسة وتحمل في ظهرها حقيبة وفي يدها بعض الكتب ، تلقي التحايا لكل من تمر بهم ، ويردونها بكل حب و إخلاص.
-قَدر ، يا قَدر
سيدة في مقتبل العمر تُناديها :
-مساء الخير خالتي ، كيف حالك .
-بخير صغيرتي ، أخبريني كيف كانت الامتحانات؟
-جيدة جدا، لا تقلقِ بإذن الله سأكون الأولى في المؤسسة هذه السنة أيضا، وسيتحقق حُلمي بدخول مجال الطب النفسي، وسأصبح أشهر طبيبة نفسية في هذه المدينة.
-أنار الله دربكِ، هيا إذهبي للمنزل حتى لا تشغلي بال والدتك تعلمين أنها تقلق عليكِ كثيرا وعودي لشرب الشاي معي كالعادة.
-لك ذلك يا جميل
-هيا إذهبي أيتها المشاغبة .
أكملت قَدر الطريق للمنزل والابتسامة لا تفارقها.

شعور مبهم هاجم قلبها لتشعر فجأة برغبة كبيرة في البكاء، آلتفتت تناظر الطريق الذي أتت منه وكأنها تودعه.

أمام المنزل وقفت لبرهة وقلبها يخبرها أنها المرة الأخيرة التي ستدخل هذا البيت مبتسمة، الخوف على والدتها بلغ ذروته لتدخل صارخة بدون آنتباه:
-أمي، أمي هل أنتِ هنا ، لقد عدت
-نعم قَدر أدخلي وآصمتي لدينا ضيوف
-ضيوف؟
ركضت لأمها داخل المطبخ لتسألها:
-من يكون هؤلاء الضيوف يا أمي، لم تخبريني أنه سيأتينا ضيوف اليوم! وأين أبي؟
-لم يعد بعد ، والضيوف مجرد ضيوف إنها فقط سيدة من أقاربي وزوجها وأخوه.

-زوجها وأخوه ، جيد سألقي السلام وأذهب للدرس.
-لا يا قَدر، لا تذهبي للدرس اليوم ، آجلسي مع الضيوف .
-أمي دراستي أولا ، كما أنني لا أحب مجالسة الضيوف خاصة الأقارب ، دائما يحدثونني عن الزواج وترك الدراسة وأنا يزعجني هذا الأمر.
-لا بأس يا قَدر لأجلي فقط.
-لأجلكِ فقط زهرتي، لأجلكِ سأدعس على خاطري وأجلس.
ضلت الأم تراقب مكان خروج آبنتها ودمعة عالقة على جفنيها لتهمس: أنا أسفة يا قَدري، أسفة يا صغيرتي .

عند قَدر آرتدت ملابس محتشمة ودخلت لتلقي السلام :
-السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
رفع الجميع أعينهم لتقول السيدة:
-وعليكم السلام، أهلا بالقَدر، أهلا بالعروس .
-لقد عدنا لنفس الحكاية، عروس ماذا خالتي أكره هذه السيرة إن كررتها سأخرج ولن أحادثك مدى حياتي.
-ما بكِ قَدر، ألم تخبركِ أمكِ أننا جئنا لرؤيتكِ وتحديد موعد الخطبة؟
-خطبة ؟ تروننني؟ عن ماذا تتحدثين أنتِ؟
-صغيرتي لقد آتفقت مع أهلك منذ أسبوع، واليوم جئت أنا والعريس لرؤيتك وتحديد موعد لخطوبة رسمية.

الصدمة، الخيبة، طعنة في القلب، إحساس بالعجز ، مشاعر مختلطة هاجمت قلبها لتجلس على الأرض بكل صمت وكأن قدماها لم تعد قادرة على حملها والكلام يتردد صداه داخل رأسها:"لقد آتفقت مع أهلك منذ أسبوع، جئت لتحديد موعد لخطوبة رسمية"

قَدر: ما أبشع طعنات الأهل، ما أبشع الغدر والكذب، أقسم أنني سمعت الحياة تهمس في أذني بكل خبث قائلة"أهلا بكِ في جحيمي"، لكن هل هذه الحياة حقا أم أنه حلم وسأستيقظ منه؟
حتى أنتِ يا أمي، حتى أنتِ غدرتِ بي ، تريدون تزويجي إذا، هذا في أحلامكم .

نهضت قَدر على قدميها لتقول بكل قسوة : آعذرونا لكن أنتم مخطئون ليس لدينا فتيات للزواج هنا ، دمتم بخير.

كادت تخرج إلا أنها توقفت إثر جملة تلك السيدة التي آخترقت قلبها كسيخ حديد:
-قَدر والدكِ موافق، وقد قال كلمته وتعلمين أنه لا يتراجع عن كلمة قالها، ثم أن العريس شاب محترم يشتغل ويملك بيتا في المدينة ولا ينقصه شيء .
قَدر: بابا...! حتى أنت يا أبي لم ترحمني ، ما محلّي من الإعراب أنا، أقمتم محكمة ضدي وأنا بريء ، حكمتم عليَّ بالإعدام وأنا بريء، ساقطة هي الأقدار التي جعلتكم لي أهلا وعائلة، القاضي أبي والشهود باقي العائلة، ما هو ذنبي؟
ماذا عن أحلامي ؟ ماذا عن دراستي؟ لما يا قدري؟

05_07_2020

أمام مطعم على البحر فتاة تسقي أزهار التوليب وتدندن مع فيروز متناسية العالم بأكمله:
-كانوا يا حبيبي ثلج وصهيل وخيل واقف ع باب الليل وكانت أصواتن تاخدنا مشوار صوب المدى والنار
صوت من ورائها: حلفتك يا حبيبي ، لا تنسى يا حبيبي .
-هذه أنتِ مجددا سارة ، أيعقل أنك لا تأتي إلا في هذا المقطع
-نعم يا أنسة توليب، وقد جئتكِ طلبا وتوسلا في فنجان قهوة من يداك هذه.
-من عيناي يا جميل
-تعجبني جملتكِ هذه
-وأنا أيضا ، كنت أقولها دائما لإحداهن في الماضي.
نظرات ألم ظهرت على وجه كلتيهما
- ألن تتجاوزيه ؟
-جرح العائلة لا ينسى يا سارة، هيا سأجهز القهوة ، المطعم خالٍ اليوم الإثنين لن يأتي أحد ، لذلك سأذهب للجامعة وأتركك هنا ما رأيك؟
-لا مانع يا آنستي المحترمة
على الطاولة فنجان قهوة وفنجان شاي ووجه شارد حزين والأخر يتأمل في صمت .
سارة: ألم تصلي لنتجية مع الطبيب.
-بدأت أتقبل ما حدث ، لكن لا أحد ينسى 3سنوات عاشها في الجحيم في ظرف شهر.
-ما مضى قد مضى ، أنتِ ابنة اليوم، الحياة أعطتكِ فرصة جديدة لتُحققي كل ما فاتك ، لا تزالين صغيرة، بإمكانك المضي قدماً الحياة لم تتوقف ، إنسي ما مضى يا قَدر.
- حينما تختفي الندوب من جسدي وتلتئم جروح روحي وقلبي حينها أنسى، وداعاً الآن تأخرت .

نهضت قَدر وخرجت نحو جامعتها والماضي لوحة تشكيلية يرسمها خيالها في كل مكان .

قَدر: الجميع يريدك أن تنسى، الجميع يريدك أن تبدأ من جديد، الجميع يعطيك نصائح لتكون شيئا عظيما.
لكن لا أحد قادر على آنتشال حزنك الذي غرس جذوره في قلبك كشجرة نخل في واحة صحراوية ، لا أحد يستطيع اقتلاع الذكريات التي تتحول لوحش يضرب رأسك بالفأس كلما حاولت الخلود للنوم، لا أحد قادر على مساعدتك لكن الجميع يصبح مرشدا نفسيا حينما يبدأ بالحديث.
كارهة أنا لإسمي والعائلة والأقارب والجميع، ولولا آملي في الله أن تعويضه عظيم لكنت تركت لهم الحياة برمتها.

أمام الجامعة بالضبط "كلية الحقوق" ذرفت دمعة يتيمة متذكرة حُلم قُدّر له الإجهاض قبل موعد ولادته " سأصبح أشهر طبيبة نفسية في هذه المدينة يا خالتي" .

أنظروا للحياة ولعبتها حلمت يوما بالتحليق وقصوا أجنحتي ، قتلوا أحلامي ، غريب كيف يُبرع الأهل برسم الندوب في أرواحنا.
في المدرج الجسد حاضر والعقل يسبح في الذكريات ، والدموع التي راهنت نفسها أنها لن تسمح لها بالنزول عرفت طريقها لتصنع نهرا على خديها.

-أنسة قَدر، أنسة قَدر
-نعم دكتور
-هل أنتِ بخير؟
- هل يمكنني الخروج ؟
-هل أنتِ بخير؟
-فقط أريد الخروج.

بدون كلمة أخرى ركضت إلى الخارج
- يا الله إرحم قلبي، يا الله لِما أنا ؟
أستغفر الله العظيم، ما بكِ قَدر لا بأس لا بأس سيمضي.
"بسم الله الرحمن الرحيم" أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكْ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً وَاِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً فَاِذَا فَرَغْتَ فَآنْصَبْ وَاِلَى رَبِّكَ فَآرْغَبْ".
القرأن الكريم كان دائما العلاج الوحيد الذي يريح نوعا ما قلبي، ويبدأ شيئا فشيئا بمحاولة لتضميد جروحي .

كنت بحاجة للحديث لذلك لم أفكر كثيرا قبل الذهاب إلى الطبيب النفسي الذي أرغمتني سارة على الذهاب إليه ، رغم إدراكي أن لا شيء يستطيع معالجة ما بي .

-مساء الخير، هل الدكتور آدم موجود؟
-نعم أنسة مشغول مع مريض ، دقائق فقط وأخبره أنكِ هنا .

جلست على كرسي أسود في الردهة وآتكأت ورفعت رأسها تنظر للبياض في السقف، من بعيد تبدو هذه الفتاة هادئة، غامضة تماما كالبحر ، من على الشاطئ يبدو هادئا جميلا، النظر إليه يريح النفس لكن العُمق شديد السواد ، العمق مخيف وموحش تماما ك قَدَر، قَدر هي البحر .

-أنسة يمكنكِ الدخول
-حسنا ، شكرا لكِ

ها أنا أعود للمكان الذي سأفتح فيه جرحا جديدا وأصب عليه القليل من الملح وأخرج بعيون حمراء وصدر ملتهب .

-أهلا بكِ قَدَر
-أهلا دكتور
-إذا، ماذا حدث
-لم يحدث شيئا
-لِما أتيتِ؟
-لا أعلم
-هل تريدين الحديث ؟
-عن ماذا بالضبط؟
-مثلا، كيف هربتِ من مدينتك؟ أو ما سبب هذه الندبة على جبينك؟
- أضحكتني
-وهل أسئلتي تُضحككِ؟
-لا، لكن الجميع يسأل ما سبب تلك الضربة على جبينك، هناك من يسأل مباشرة، وهناك من يسأل بعينيه ، وهنا أنت .

-غريب أمركِ منذ شهر تأتين إلى هنا لتسخري وتخرجي فقط لا أستفيد شيئا ولا تستفيدين شيئا، أخبريني من أنتِ بالضبط؟ ماذا تريدين ، لما هالة الغموض والحزن تحوم حولك، أنتِ فتاة...
-بل أنا مطلقة
-ماذا؟
-لست فتاة ، ولست إمرأة، ولست حتى ممن قال عنهم الرسول عليه الصلاة والسلام"المؤنسات الغاليات" أو حتى "استوصوا بالنساء خيرا"، أنا عارّ على العائلة، عارٌ على أبي، عارٌ على المجتمع ، أنا مُجرد مُطلقة هذا ما أخبروني به حينما رُميت عند باب منزلهم أطلب النجدة من الجحيم الذي ألقوا بي داخله.
-قَدَر، أخبريني من البداية حتى أستطيع مساعدتك
-مساعدتي؟ هذه أكبر نكتة سمعتها في حياتي"أساعدك" ، أخبرني كيف ستساعدني؟ هل تستطيع آقتلاع قلبي ومعالجة كل جروحه، هل تستطيع إخراج روحي وغسلها من أحزانها، أو دعك من كل هذا فقط أخفي هذا الأثر من على جبيني، لأريك أثار جسدي بأكمله، هل تستطيع فعل هذا ؟
بالطبع لا ، إذا توقف عن قول "أساعدكِ" لأنك لن تستطيع وكل ما. ستفعله لأجلي هو مواساتي بكلمات لا فائدة لها ، ولربما تعطيني أدوية تعيد لي النوم الذي هجرني وتخفف عني الكوابيس ، لكن لن تستطيع لملمة جروحي.
-تحدثي ماذا حدث ، أخبريني كل شيء بعدها نجد حلاّ لكل شيء.
-كسائر من هم بعمري كانت لي أحلام
-لحظة كم عمرك الآن؟
-واحد وعشرون سنة
-في هذا العمر الصغير حملتِ لقب مُطلقة ؟، أكملي
-السنة الأخيرة في الثانوية العامة والهدف نفس تخصصك هذا
-كنتِ تريدين التخصص في الطب النفسي؟
-تماماً، إلاّ أنه حلم كباقي الأحلام تلاشى حينما آشتد الظلام
-كيف؟
-كانت حياتي وردية، عائلة تحبني، أصدقاء، جيران، أنا أميرة الحي هذا ما كان الجميع يناديني به، كل من يقابلني يقول بارك لأباكِ فيكِ، إلاّ أن الحياة الوردية لا تدوم والشمس أيقنت أنها لا تشرق دائما، وأن الظلام سيحل يوماَ ليدوم إلى الأبد . بين ليلة وضحاها مُنعتُ من الدراسة، حُرِمتُ أحلامي وتم الحكم علي بالزواج من رجل أصلع يُضاعف عمره عمري .

لم يكن البكاء نافعاً ، ولا حتى التوسل، من أصدر الحكم قاضٍ أخذ رشوة من شياطين الأهل، ورُفض الاستئناف الذي قدمته.
وأضحيت أنا العصفور الذي حاول الطيران بحثا عن قيمة نفسه وتم رميه برصاصة ليقع إلى الأرض مبتور الجناح.
أتعلم يا سيدي يستطيع المرء تجاوز كل شيء ، إلى الخيبة التي يزرعها والداه في قلبه، عشت سنتين وسط جحيم أسود ، جحيم لا أحد غيري يعلم ما واجهته فيه، وحينما ظننت أنني خرجت منه وجدت نفسي سجينة لدى المجتمع والعائلة.
-هل تم الزواج؟
-نعم بوعود خيالية ومنزل الأحلام، نساء العائلة حسدوني ، يا لحظها عائلتها زوجتها لرجل غني، والدراسة أصبحت حلم منسي في قرية هجرها جميع سكانها، وأنا دمية يحركونها على مزاجهم.
-لماذا لم تعترضي؟
-على ماذا؟ أخبرتك لم يُقبل آستئنافي، ورضيت بقدري، قلت لعلّه خير، لعل ربي يُحدثُ بعد ذلك أمراً.
-وماذا حدث بعدها؟
-تزوجت رجل أمقته.
-كيف كان تعامله بعد الزواج في المنزل؟
-تلك قصة أخرى
-أخبريني
-يوماً ما ، وداعاً .

خرجت قَدَر من العيادة وهي ضائعة، وكل من يراها يتسائل فتاة بهذه البراءة والإحتشام لما تمشي فوقها غيمة الحزن السوداء.
لا أصوات تسمعها، كل ما تسمعه صُراخ قوي وطلب للنجدة، وفجأة توقف كل شيء وحل الظلام.

-قَدَر، قَدَر هل تسمعينني
-ماذا، أين أنا؟ سارة...! ماذا تفعلين هنا؟ أين أنا؟
-إهدئي قَدَر، أنتِ في المشفى ، فقدتِ الوعي في الشارع .
-مشفى؟ لا ، لا ، أخرجوني، أخرجوني من هنا ، أخرجوني
- قَدَر إهدئي أنا معكِ، لن أدعك إهدئي سنخرج
* أنسة أنتِ تعانين من فقر دم حاد بسبب سوء التغدية وهذه الأشياء خطيرة ، إضافة أن وزنكِ قليل جدا، لذلك سنحولكِ إلى طبيب تغدية مختص .
-لا أريد شيئا، فقط أخرجوني من هنا ، سارة أخرجيني من هنا ، أنا بخير أخرجيني من هنا
-حسنا قَدَر، لنخرج ، شكرا دكتور سنعود مرة ثانية .

في سيارة الأجرة قلب إنطفأت نيرانه وأصبح كل ما به رماد يتناثر حول الجروح الطرية ، وقلب مُشفق على صغيرة لم ترى شيئا في الحياة غير الألم والخذلان.

سارة: منذ رأيتها أول مرة تجلس على كرسي في الحديقة ترتجف برداً وأنا أتألم لأجلها، وكان أفضل ما فعلته هو أنني ذهبت إليها لأسئلها : ما بك أراكِ تجلسين هنا منذ أسبوع بدون حراك، ألا تذهبين للبيت ؟
الخوف كان جليّا في ملامحها ، حاولت كثيرا أن أبث الإطمئنان في قلب هذه الصغيرة : أنا إسمي سارة عمري 35 سنة ذاك مطعمي هناك ، هل أنتِ جائعة؟
هزت رأسها مرات عديدة بدون كلمة لأقول لها مجددا : ما رأيك أن تأتي معي لنفطر سوية؟
عاد الخوف ليظهر في عينيها وحاولت الهرب إلاّ أنني أمسكت بها قائلة: حسنا ، لدي فكرة ما رأيك أن أذهب واتي بالأكل ونفطر معا هنا؟
هزت رأسها موافقة بتردد وذهبت أنا بسرعة لأجلب الفطور وأنا أرجو الله أن تبقى ولا تهرب، عدت لأجدها تتأمل البحر بشرود ودموع: هل أنتِ بخير؟
لا رد

-صغيرتي هل تستطيعين التحدث ؟
هزت رأسها نفياً
-أنتِ خرساء؟
هزت مجددا رأسها نفياً
-هل تجدين الكتابة!
هزت رأسها بنعم فأسرعت بالبحث في حقيبتي عن مذكرة وقلم وسألتها: ما إسمك؟
كتبت: قَدَرْ
-إسمك غريب وجميل ، ابتسمت بهدوء وسألتها: أين أهلكِ
كتبت: في مدينة بعيدة
سألتها من أتى بك إلى هنا ؟
كتبت : لوحدي
-هل أنتِ فاقدة النطق؟
كتبت: لا مررت بصدمة نفسية فقدت بسببها النطق
-هل أنتِ لوحدك هنا؟
كتبت : أجل ، لا بيت لي هنا ، جائعة، وأشعر بالبرد
-حسنا تفضلي بالأكل .
أخذت تأكل وأخذت أنا أتأملها، فتاة بعيون عسلية وأثر ضربة كبيرة على جبينها تحاول مداراتها بالحجاب، ترتدي فستان أسود ، جسدها نحيل واضح جدا أنها لم تبلغ الثامنة عشر سنة بعد، بدون شعور سألتها : كم عمرك قَدَر؟
بيديها أشارت بكل أصابعها مرتين وأضافت واحد
سألتها: عمرك واحد وعشرون سنة ؟
هزت رأسها بنعم وأكملت أكلها
غريب أمرها ، من هذه الفتاة وما قصتها وما الذي جعلها تترك مدينتها وتأتي إلى هنا؟ أسئلة كثيرة عجزت عن طرحها عليها لأكتفي بتأملها وهي تأكل بشراهة:
-هل لديك مكان تعيشين فيه؟
حركت رأسها نفيا وأنزلت بصرها للأسفل
-ما رأيك أن تعيشي معي؟ أنا أعيش لوحدي زوجي في أوروبا وأملك مقهى إنه هناك في أخر هذا الشارع أشرت لها بيدي نحو الطريق لتنظر له في صمت .
أنا منزلي في حي بعيد بعض الشيء عن البحر ، أخبريني ما رأيك؟
بعد تردد كبير منها أخذت القلم وكتبت: موافقة بشرط أن أشتغل معك في المقهى وأدفع أجار جلوسي في بيتك.
-غريب أمركِ يا قَدَر ، من أنتِ ومن أين أتيتِ؟

فضولي يقتلني لمعرفة من هي وما قصتها ، بعد تفكير طويل قلت: موافقة ، هيا معي إلى المطعم .
بعد أسبوع قضته معي في صمت ، أدركت أنها تتألم من شيء ما، كنت كل ليلة أسمع أنينها من الغرفة ، وأحيانا أجدها نائمة على سجادة الصلاة، وعندما تأتي معي للمطعم تبقى شاردة في حديقته الصغيرة واقفة بجانب النافذة ، كما أنها أصبحت تعشق إعداد القهوة، وكانت تبدو سعيدة وهي تعدها للزوار .
مضى شهر ونصف أصبحت تبتسم للزوار وزرعت العديد من أزهار التوليب الأبيض وأحضرت كتبا كثيرة للمطعم وصنعت مكتبة ، كل من يأتي للمطعم تقدم له كتاب مع ورقة كتب فيها" إن أردت أن يكون لعقلك لسان، إقرأ" كان الجميع يحب وجودها ، حتى الحديقة أصبحت جميلة .
وحياتي الروتينية زينتها قَدَر أعادت الحياة لكل شيء حولها، ولكن عجز الجميع عن جعلها تنطق ببنت شفة ، طوال تلك المدة كانت تفعل كل شيء عدا الكلام، وأنا لم أسئلها عن شيء وانتظرتها حتى تخبرني هي ، كان كل شيء بخير حتى حدث ما لم يكن في الحسبان.

-لقد وصلنا سيدتي.
قالها سائق سيارة الأجرة الذي توقف أمام الحي ليخرجها من شرودها بضعف شديد نزلت قَدَر تلحقها سارة التي تتأملها بشفقة عن كل ما حدث لها.
أمام المنزل صدح صوت رجل عجوز يقول : مساء الخير يا بنات
- مساء الخير يا عم أحمد ، كيف حالك
- بخير، ما بها قَدَر يا سارة ؟
- أخبرك لاحقا أيها العم ، حقا متعبة
- حسنا ، أنتظرك
كل هذا الحوار لم تسمعه قَدَر، عقلها يسبح في الماضي وجروحها أعادت فتحها وسؤال واحد لا يتوقف عن طرح نفسه داخلها: " ما هو ذنبي" .

حينما دخلا إلى المنزل بصمت رهيب آتجهت قَدَر إلى الغرفة تاركة قلب سارة يتألم لأجلها.

قَدَر: كنت أظن أن هذه الحياة جميلة، وأن من يقول عنها قاسية وصعبة مجرد شخص عجز عن تحقيق شيء ، كنت أسخر منها دائما، مرة قلت لأمي " الحياة

أسخف من أن تؤذيني أو تحرمني شيء " ، لربما أخذته تحدي وغضبت مني لأني كنت أستهين بها لتعقد اتفاقا مع القدر على تحطيمي.
تعاقد الجميع على إلقائي في نهر من الحمم بعد قصهم لجناحاي حتى لا أطير
ما أعمق الجروح التي تفتحها العائلة في قلوبنا.
بعد كل ما مررت به أدركت أن كل أو معظم الأشخاص الذين يسبحون في الحزن والأمراض النفسية سببهم عائلاتهم.

يوم الجمعة الساعة 11:30
صوت خالد الجليل يعم الأرجاء ويعطر يوم الجمعة بسورة "الكهف"
المطعم خالٍ نوعا ما
سارة في مكتبها وباقي العمال يقدمون طلبات الزبناء القلائل
وقَدَر تسقي الأزهار وتردد مع خالد الجليل"﷽، اِلْحَمْدُ لِلّٰهِ اِلذِے أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ اِلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجاً (1) قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ اَلْمُومِنِينَ اَلذِينَ يَعْمَلُونَ اَلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً (2) مَّكِثِينَ فِيهِ أَبَداً (3) وَيُنذِرَ اَلذِينَ قَالُواْ اُتَّخَذَ اَللَّهُ وَلَداً (4) مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنَ اَفْوَٰهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً (5) فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُومِنُواْ بِهَٰذَا اَلْحَدِيثِ أَسَفاً (6) اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى اَلارْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (7) وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً (8) اَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ اَلْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُواْ مِنَ اٰيَٰتِنَا عَجَباً (9) اِذَ اَوَى اَلْفِتْيَةُ إِلَى اَلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنَ اَمْرِنَا رَشَداً (10)... "

على النافذة المطلة على الحديقة أحدهم يحتسي فنجان قهوة بشرود في السماء ، ليلفت آنتباهه شخص بفستان أبيض طويل وحجاب يحوم بين الأزهار مرددا آيات من القرأن الكريم بصوت هادئ لا يكاد يسمع : فراشة في فصل الخريف!
جملة همس بها هذا الغريب لتستمر مراقبته لها حتى آنتهت السورة ورفعت يديها للسماء تدعوا ربها مغلقة عينيها ، دمعة يتيمة نزلت على خدها لتمسحها بسرعة وتتجه نحو باب المطعم .
من على طاولة أمام مكتبة المطعم حملت حقيبتها وخرجت بهدوء.
-ترى من أنتِ؟
سؤال طرحه بينه وبين نفسه قبل أن يضع الحساب على الطاولة ويركض إلى الخارج محاولا اللحاق بها.
على الرصيف تراقب ساعة يدها وتمشي بسرعة ، وفي السيارة يلحق بها ولا يدري لماذا؟
بعد ربع ساعة، وصلت لضالتها ، لتبتسم وتدخل بين النساء بسرعة .
وهو يقف أمام سيارته مستغربا نفسه .
-هل دخلت هنا، دخلت إلى المسجد ، اليوم ، اليوم جمعة
من هذه ، ما بي أنا.

وقف كثيرا يتأمل الباب الخاص بالنساء الذي دخلت منه تلك الفتاة ، ليقام الأذان ويدخل سيارته خائفا من الدخول:
-ما بك يا رجل ، لما تشعر بالضياع .
هاتفه يرن ليجيب ويمضي في طريقه تاركا المكان .

داخل المسجد وفي الصف الأول، تجلس بعدما انتهت من صلاتها تدعو ربها قَدَر: اللهم لك الحمد على كل ما مررت به، أعلم أنني يا الله تركتك لشهور طويلة، أعلم أنني صرخت وقلت ربي لا يحبني، لكنني يا الله كنت مجروحة ومدمرة ، كان قدري قاسيا يا الله ، سامحني يا الله عندما هجرت القرأن وسجادة الصلاة ، سامحني يا الله..."
ضلت قَدَر تدعو كثيرا متناسية كل شيء مختلية بربها ، مضت ساعات كثيرة و لم تخرج من المسجد ، وها هو الإمام ينادي لصلاة العصر.
لتصلي صلاتها وتخرج بقلب يتجدد نبضه كلما آختلت بربها في بيته .
قَدَر: ما يعجز الدواء والأطباء عن علاجه ، ينجح الله دائما في علاجه، حينما يهجرني النوم أصلي حتى أنام، وحينما تهاجمني الكوابيس أحاربها بالقرأن، كان الله دائما يفتح لي بابا لأعالج كسوري، واليوم رغم كل شيء حدث لا أندم على شيء غير تلك السنوات التي قاطعت ربي ونسيت أن ما حدث آبتلاء وسيمضي.
عادت قدر للمطعم لتجده ممتلئا والزبناء يطلبون قهوة خاصة قهوة قَدَر.
- قَدَر وأخيراً عدتِ
-أسفة لقد نسيت نفسي في المسجد
- لا عليكِ، هيا جهزي القهوة أرجوكِ بسرعة.
-لك ذلك يا جميل.

مضت الساعات بسرعة في المطعم قَدَر تجد راحتها وتنسى كل شيء وهي تصنع القهوة وتضع لمستها الخاصة عليها ، وسارة تشعر بالإمتمان والسعادة ومشاعر أخرى ، سارة أصبحت ترى قَدَر إبنتها ، والجميع يحب بسمتها الخاصة رغم ندبة جبينها .

الساعة الرابعة فجرا
الجو يميل للبرودة هذا فصل الخريف هنا ، الفصل الذي ينذر بقدوم الشتاء .
على البحر تجلس على الكرسي متأملة السكون والأمواج الهادئة :

قَدَر: البحر هذا الشيء الكبير الغامض ، قرأت مرة أن للبحر معجبون كثيرون وعشاق كثيرون والفرق بينهما كبير جدا
حيث أن المعجبون لا يغوصون في الأعماق يشعرون بالإكتفاء بالنظر له من بعيد فقط، الجلوس على الشاطئ ومحادثة الأمواج
بينما العشاق مختلفون تماما ، عاشق البحر هو الذي يغوص للعمق يواجه قسوة الصخور ويحارب الأمواج يغامر يتألم ويخرج مبتسما.
وأنا لست منهم أن أنظر من بعيد لا أنظر للموج بل أسبح في ذكرياتي ، أول مرة قدمت إلى هذه المدينة كان هذا الكرسي هو منزلي كنت أنام هنا ، أعيش على بقايا أكل الناس في المطاعم واتي لأحارب كوابيسي على هذا الكرسي مواجهة البحر والسماء اتخذتها غطاءًا .

على الرمال يجلس أحدهم حافيا يتحدث للبحر : أتعلم يا صديقي عشت حياتي كلها ضائعا حتى ذاك اليوم ، اليوم الذي لا ينسى ، بعد سهرة طويلة في حانة آسيقظت في مكان لا أعرفه كعادتي محاولا نسيان ما مررت به آتجهت لشرب فنجان قهوة ، ليصدمني منظر فراشة بيضاء تحوم بين الأزهار، لأول مرة أطيل النظر في شيء يعود لجنس حواء ، لكن المشكلة ليست هنا ، المشكلة أنها أخذتني للمكان الذي لم أدخله منذ سنين طويلة ، أخذتني لمكان نسيته منذ 17سنة .
الألم، ألم رهيب شعرت به في روحي ، أدركت حينها لما أنا ضائع، لأنني أضعت طريقي بنفسي تركت النور وسبحت في الظلام بنفسي .
ترى هل سأقابلها مجددا؟
أقصد فراشة الخريف هل سأقابلها ؟
أكرهك حينما لا ترد يا صديقي
لكن رغم ذلك أريد مقابلتها، أيام طويلة وأنا لا أعلم كيف أطلب من الله مقابلتها ولو بالصدفة، حتى ذاك المطعم لم تعد تأتي إليه ، رغبة شديدة تعترينني لرؤيتها .
رفع رأسه متأملا النجوم وصوت خجول داخله يردد "أريد صدفة ثانية تجمعني بها"

عند قَدَر
بعد تردد كبير قررت النزول إلى الرمال وملامسة المياه
قَدَر: هيا يا قَدَر لنتغلب على الخوف ونلمس الماء ، لا بأس في المحاولة .

بخوف حاولت تجاوزه نزلت ، خطوة خطوتين وأدخلت قدمها في الماء رغم برودته وقفت شاردة في الماء، الهواء البارد.

قَدَر: هل تسمعني يا الله ، قل للبحر أن يأخذ أحزاني.
صرخت قدر بعلوّ صوتها قائلة: يا الله أنا متعبة ، متعبة يا الله أريد أن أنسى ، أريد النسيان يا الله
لتجلس وسط الماء مستسلمة لموجة بكاء مرير تخرج فيه كل ما عاشته كل السنين الفائتة.

خلفها هو يردد: يا إلٰهي إنها هي، هي نفسها فراشة الخريف، لما البكاء ، لما تبكي؟

وضع يده على صدره ووقف يتأملها عاجزا عن الإقتراب

مضت دقائق لا يسمع فيها شيء غير صوت بكائها الذي أخذ ينخفض وصوت أمواج البحر.
لتنهض بعدها مبللة متجهة عكس الطريق الذي أنت منه متجاهلة نظرات تتبعها في كل خطوة.
استمرت قدر بالسير طويلا غارقة في ذكرياتها واستمر هو بالسير حتى توقفت هي عند باب المسجد الخاص بالنساء، فتحته بمفتاح أخذته من تحت سجادة صغيرة ودخلت تاركة خلفها تائهاً يحاول لملمة ما بعثرته بظهورها.

: لما تأتي بي دائما إلى هنا ؟ من هذه الفتاة ؟

قال جملته وآختفى في ظلام ما قبل شروق الشمس.

مضت أيام أخرى وأتى اليوم الذي أجبرت فيه سارة قَدَر على الذهاب للمشفى، وزيارة الطبيب النفسي أيضا .
في قاعة الإنتظار تجلس سارة تنتظر آنتهاء قَدر من الفحوصات والتحاليل اللازمة لمعرفة ما بها بالضبط

سارة: قبل شهور طويلة عرفت حكاية قَدَر، ولن أنسى اليوم الأسود الذي عاشته وصرخت بكل قوتها ليعود صوتها .
في ليلة رعدية آضطررت للذهاب إلى مدينة قريبة من مدينتي وتركت المطعم لقَدر ليحدث ما لم يكن بالحسبان
الساعة 10والنصف ليلا كان الجو غائما جدا والبرق والرعد أرعب الجميع،
آنقطعت الكهرباء على قَدَر في المطعم لتخرج للحديقة بحثا عن القاطع، أغلق الباب وجلست تحت المطر طوال الليل محتضنة نفسها من الرعد عند جدع شجرة ، تبللت وكلما ضرب الرعد في السماء صرخت هي ، ضلت قَدَر في الحديقة حتى الصباح .
وفي الساعة السابعة صباحا عدت ودخلت المطعم بحثا عنها ظننتها رحلت واحتلني الذعر ناديت كثيرا ليلفت سمعي صوت أنين صادر من الحديقة خرجت لأجدها متكومة على نفسها تأن في ألم
-قَدَر، قَدَر هل تسمعينني أجيبي
لا رد لأركض للمطعم أطلب الإسعاف
حضروا بعد ربع ساعة وأخذوها للمشفى وبعد ثلاث ساعات متواصلة ضلت قَدَر تصرخ وتردد" لا لا دعوني ، لا أريد النوم في الحضيرة ، الجو بارد، أخاف الرعد " عاد صوت قَدَر وأتى بصدمة لي وللطبيب الذي أكد أنها تعيش كابوسا ما .
بسببي بسببي هي الآن تعيش كابوسا وتتألم ، يا الله أعدها لي ، دعوت ربي كثيرا لأجلها شعرت أن إبنتي هي من يحتضنها سرير المرض، يومين متواصلين نامتهم قَدَر في المشفى تصرخ وتبكي لتأتي الممرضة تعطيها مهدئ وترحل.
يومان كنت أتنفس فيهما بصعوبة وأصلي وأدعو أن تستيقظ .

وأخيراً فتحت عينيها لتبقى دقائق طويلة تنظر للسقف بدون أن ترمش
: قَدَر هل تسمعينني؟
قَدَر:_____
-قَدَر تستطيعين التحدث ؟

- أين أنا يا سارة، ماذا أفعل هنا؟
- أنتِ نائمة منذ يومين وتهذين بكلام غامض
- هل يمكنكِ أخذي إلى البيت؟.

حينها أصرت على العودة للبيت وترك المشفى رغم إصرار الطبيب على بقائها، عدنا وهي فقط شاردة، أدخلتها لغرفتها وساعدتها على النوم في سريرها وقررت الخروج وتركها ترتاح قليلا، كدت أفتح الباب لأسمعها تقول بصوت هادئ:
لقد هربت من بيت العائلة ، أقصد بيت أبي ، تركت مجتمعا لم يرحمني، وأخذت تسرد قصتها وملامحها جامدة حتى نظراتها عالقة على الجدار الأبيض أمامها.
أما أنا كانت الدموع تجري مجرى النهر على خدي وأنا أستمع لكل هذا الألم الذي تحمله صغيرتي في قلبها.

سارة، يا سارة:
- ها قدر ماذا هل أنهيت الفحوصات؟
- ما بكِ سارة لما تبكين ؟ هل أنتِ بخير؟
- لا تقلقي أنا بأفضل حال فقط تذكرت شيئا.

مسحت دموعي وابتسمت لأسألها: ماذا قالوا لك؟
- لم يقولوا شيئا سأعود بعد غد لأرى نتيجة الفحوصات،
والآن هيا بنا ، عودي للمطعم وأنا سأزور مكان ما وأعود.
-ستذهبين للدكتور آدم ؟
-ربما ، إلى اللقاء يا جميل

رحلت قَدَر وضلت سارة تراقبها وتدعو لها في الخفاء أن يحفظها ، ثم عادت لعملها وقلبها خائف جدا من القادم.

قَدَر: كيف أفسر لهذا العالم أنني تائهة ، أمشي في الطرقات كأب يحمل جثة صغيره ويبحث عن قبر يحتويهما معا،
كلما رفعت رأسي للسماء أجدها غائمة ترى ما بالها الشمس غاضبة؟ أم أنها منفية مثلي.

أحيانا أشعر أن لا شيء يشبهني في هذا العالم غير القطط السوداء التي يطردها الجميع من أمام أبواب بيوتهم ويضربونها بقسوة محاولة التخلص منها ظنا منهم أنها نذير شؤم.

وصلت قَدَر أمام العيادة التي تقابل فيها الطبيب النفسي بعد صراع داخلي ومحاوِلة جعل عقلها يتوقف عن الحديث.
قَدَر: هل الدكتور أدم موجود؟
-نعم انسة دقيقة ويمكنك الدخول
أومأت برأسها في صمت لتدخل بعدما أذنت لها المساعدة .

الدكتور آدم: مساء الخير قَدَر
-مساء الخير
-هل أنتِ بخير؟
- لا أعلم
- هل ترغبين بالحديث وإكمال القصة
-حسنا _____

يوم 11_03_2018
هذا اليوم الذي تم فيه تنفيذ حكم الإعدام وتم تسليمي لشيطان الموت ، اليوم الذي سأجرب فيه عذاب القبر على الأرض.
تركت منزل عائلتي والجميع سعيد بهذا موسيقى في كل مكان وزغاريد وأنا الطفلة التي نزعوا الأحلام والكتب من بين يديها ليلبسوها فستان الزفاف ويسلمونها لرجل عجوز ، ابتعدنا عن مدينتي كثيرا وفجأة دخلوا من طريق غابوي ، أنا أتجه للمجهول و لا أحد يبالي .
بعد ساعتين في ذاك الطريق الخالي من البشر وصلنا منزلا في عمق الغابة ، منزل مهترئ سقفه من القصب وأشخاص غريبون ، بقر ،ماعز، لا أعلم أين أنا كنت أبكي بينما الجميع يغني ويحتفل .
كدت أسأل أين أنا : ليفتح باب السيارة التي تقلني وتظهر إمرأة ترحب بي وتقول أهلا بك في منزلكِ الجديد.
-منزلي الجديد؟ هل سأعيش في غابة لم تكلف نفسها بالرد عليّ ، لتجذبني من ذراعي وأخرج
كنت أسأل نفسي هل سأعيش هنا؟ هل حرموني من كل شيء ليلقوا بي في غابة ؟
من يبالي لقَدَر الجميع مشغول بالرقص.
جائت سيدة عجوز رفقة أمي لتخبرني أنهم جهزوا غرفتي التي سأسكنها.

أخذوني إلى مكان يشبه حضيرة الغنم ، جدران آيلة للسقوط وباب مهترئ من خشب وسقف من القصب ، وزرابي قديمة على الأرض
- هل سأعيش هنا؟ سألت لتدفعني المرأة قائلة: الليلة ليلة دخلتك ؟
وأغلقت الباب بقفل بعدما دخل هذا الكائن العجوز الذي زوجوني له .
صفعة، صفعتين ثم وقعت على الأرض لتلحقها ركلات في بطني وهو يردد: أنا أكرهكِ لن تكوني زوجتي أنا جئت بخادمة إلى أمي، ستعيشين هنا في هذه الغابة .

صمت حل على العيادة ليعثر آدم على صوته ويسأل: ماذا حدث لكِ بعدها يا قدر ؟
إبتسامة أليمة، وعيون حمراء أنفاس ساخنة لتقول بصوت مبحوح:
-كانوا في الخارج يرقصون وكنت في الداخل أتعرض للإغتصاب، كانوا يرددون الأغاني وكنت أتوسلهم أن ينقذوني .
" على الأرض عصفور ذبحه ذويه من الوريد حتى الوريد هو يسبح في دمه وهم يرقصون حوله"
كانوا مشغولون بالرقص وأنا أستسلم للظلام الذي أخذ يسحبني إلى الأعماق .
- وماذا حدث
-آستيقظت في الصباح أو المساء لا أعلم، لأجدني مكاني ولا أحد حولي .
صرخت بهم : أخرجوني، أين أمي ، أين أبي
لا رد ، وبعد دقائق دخلت أم ذاك الذي اعتدى علي لتقول : كفاكِ صراخا الجميع رحل ، حتى زوجكِ أيتها العاهر رحل .
جملة واحدة رددتها: أريد أمي
لتضحك بقوة قائلة : انتهى زمن أمكِ ، أنتِ اليوم عروس هذا البيت ، وخادمتي هذا ما أخبرني به إبني
لتجذبني من ذراعي وتلقي بي ناحية الباب قائلة : هيا لديك مهام .....

- أكملي
- يوماً ما
- لا تذهبي
-سأعود
- صِفي لي ذاك المكان
- منزل قديم مثل المنازل التي كنت أشاهدها في الأفلام القروية القديمة ، لا ماء لا كهرباء ، فقط غابة، أشجار، حيوانات.
مكان كان سجناً لي ، وداعاً سيدي

خرجت قَدَر من العيادة بجروح تم فتحها من جديد ، جروح آبت الشفاء، لتمشي في الشوارع بعيون تغشاهم الدموع .
متجهة إلى مكان يعمل كمسكن لقلبها.
دخلت متجرا وآشترت العديد من البالونات والحلوى لتخرج منه مبتسمة في طريقها لمن يحملون مثل قلبها .

عند إشارة المرور يقف بسيارته متأففا ، ليلمحها تقطع الطريق تحمل بالونات وتبتسم
: أنتِ مجددا
أبواق السيارة ارتفع صوتها وهو شاردٌ بالمكان الذي مرت منه، ليقرر ترك سيارته مكانها ويخرج ليلحق بها .
:إنتظري، لحظة، يا فتاة
لم تستمع له ليستمر اللحاق بها حتى توقفت أمام منزل كبير معلق عليه لافتة كتب عليها" ملجأ شمس" .
دخلت وبقي هو خارجا يحاول فهم ما يحدث له .
بعد دقائق طويلة خرجت قَدَر من الملجأ يلحقها أطفال صغار كل واحد منهم بيده بالون متجهون لمكان ما .
اتجهت نحو حديقة قريبة من الملجأ مع الأطفال ، لتتحول من فتاة تجاوزت العشرين لطفلة بعمر السبع سنوات ، تقفز هنا وهناك، تلعب وتضحك يعلوا صوتها ، تحتضن الجميع، وتلعب معهم واحدا تلو الآخر.

قَدَر: هذا المكان يشبه المسجد وحديقة المطعم كل هذه الأماكن تُشعرني بالراحة ، الأطفال ، الأطفال هم ملائكة الرحمان على هذه الأرض خاصة الأيتام منهم ولأنني شعرت باليتم مرة رغم وجود والداي على قيد الحياة أستطيع أن أقرأ كل ما يدور بأفكارهم، لذلك أنا دائما معهم.

من بعيد يراقبها بقلب يخفق بسرعة: ملاك ، أنتِ ملاكي

آستدار راحلا عن المكان والإبتسامة تزين وجهه يستدير كل دقيقة ينظر لها قبل أن يختفي عن الأنظار.

ضلت قدر حتى أذن المغرب لتعود بالأطفال إلى الملجأ وتصلي معهم ثم رحلت باتجاه المطعم.

في غرفة جدرانها رمادية ، يجلس متأملا صورة كبيرة معلقة على الحائط لفتاة ترتدي فُستان أصفر وحجاب أسود تجلس على مقعد في الحديقة تراقب الأطفال .
ليقوم متجها إليها قائلا: لا أعلم ما هو إسمكِ لكنكِ فراشة الخريف خاصتي، أنتِ فراشتي وملاكي.
لينهض مُتجها إلى مكان ما بعدما أغلق باب الغرفة بالمفتاح.

بين أزهار التوليب والجوري تجلس ممسكة بكتاب وفنجان شاي بجانبها تحتسي منه بكل هدوء.

- قَدَر

- نعم

- ألا تشتاقين لأمك؟

صمت حلّ على الأجواء ، لتقف بهدوء قائلة:

سأجهز شاي ، هل تريدينه؟

-قَدَر ، أنا

-لا بأس ، سأجهز قهوة

رحلت قَدَر من المكان تاركة سارة نادمة على سؤالها ذاك.

قَدَر: كأن الجميع يروق له توزيع الملح على جروحي، كأنهم وقعوا بحب الألم في عيوني، جميعهم يكرهون رؤية السكون والهدوء على ملامحي .

-مرحبا، هل لي بفنجان قهوة؟

صوت أخرجها من حديثها الداخلي لتمسح دموعها وتلتفت قائلة بدون أن ترفع نظرها:

حسنا، كيف تريده؟

قابلها الصمت لترفع رأسها مجددا نحو ذاك الواقف مصدوما أمامها:

سيدي هل أنت بخير؟ كيف تريد قهوتك؟

عاد من شروده ليقول :

-بدون سكر

- حسناً

جلس على مقعده صامتاً وإحساس السعادة يعتريه، الفتاة التي ظنها مجرد زائرة للمطعم في الحقيقة تعمل فيه.

- تفضل، هل تريد شيئا أخر؟

: شكرا ، لا أريد .

اتجهت نحو مكتبة المطعم لتأخذ كتابا وتجلس متناسية كل ما حولها .
قَدَر: قرأت العديد من الكتب ، الكتب الصديق الذي يعطي بدون مقابل، الصديق الذي لا يخون ، لا يؤذي، يحتضنك بكل حب.
كل شيء أقرأه يترك بداخلي تأثير.
قبل هروبي من مدينتي بأسبوع كنت أقرأ كتاب نظرية الفستق نال إعجابي آقتباس كان يتحدث عنه الكاتب يقول في " بمجرد آقتناعك برأيك، يعني إغلاق عقلك عن باقي الإحتمالات" ، حرفيا هذا الكلام صحيح مئة بالمئة ، فبمجرد أخذك لقرار خاص بك سواء كان خاطئا أو صحيحا فأنت يستحيل عليك بعدها الإقتناع برأي شخص أخر .
وكان قراري حينها الهروب .
والعديد من الإقتباسات والكتب التي أعادتني للحياة بعدما كنت شخصا يتأرجح على الهاوية ينتظر السقوط.

-قَدَر أنا أسفة.
أخرجتها سارة مجددا من سكونها لترد عليها بهدوء
- القهوة جاهزة ، وداعاً سأذهب للجامعة.
خرجت قَدَر لتترك سارة ورائها تنادي عليها محاولة الإعتذار.

سارة: لقد أخطأت خطأ كبير حينما سألتها ، ستفكر الأن أن الجميع يحاول فتح جروحها المفتوحة أساسا، أخبرتني فيما مضى أن الحديث عن عائلتها يؤلمها وأنها لا ولن تشتاق لهم، وكما آلتزموا الصمت وهي في سجنها تتعذب لا يحق لهم السؤال عنها أو حتى المغفرة، آهٍ يا قَدَر إلى متى؟
:إسمها قَدَر؟
قاطعها تفكيرها بالصوت العالي صوت من ورائها لتلتفت له مستغربة
-ومن أنت؟
:لا أحد ، هل تلك الفتاة إسمها قَدَر؟
-نعم ، ومن أنت ؟
: أخبرتك ، لا أحد

غادر هذا الغريب تاركا سارة تتسائل من يكون من جهة وتتحسر على ما فعلته من جهة أخرى .

في سيارته آلتقط هاتفه وآبتسم آبتسامة بسيطة مرددا إسمها : قَدَرْ.

مضت أيام بسيطة كان فيها هم قَدَر الوحيد هو دراستها .
وقتها كان ينقسم ما بين المطعم والبحر والجامعة.
سارة آستطاعت جعل قَدَر تتجاوز سؤالها.
وذاك الغريب يتردد دائما للمطعم ويلحق بها في كل مكان ، وفي الليل يقضي وقته على البحر أملا في رؤيتها كالمرة السابقة .

عند قَدَر خرجت من الكلية لتتجه إلى العيادة ، رغبة كبيرة حثتها على الحديث وفتح الجروح مجددا علها تشفى بصفة نهائية.

قَدَر: مساء الخير
+ مرحباً أنسة قَدَر، أدخلي الدكتور آدم في آنتظارك.

- أهلا قَدَر، تأخرتِ عن الجلسة
- الحقيقة لا أحب القدوم إلى هنا، فكرة أن أكون مريضة نفسية تتعبني أكثر.
+ إسمعي قَدَر، أنتِ لستِ مريضة، أنتِ بأفضل حال، مجتمعك هو المريض، عائلتك ظروفك هم المرضى أنتِ ضحية ، أقنعي نفسك بهذا أنتِ مجرد ضحية.
لا زلت أجهل الكثير في قصتك لكنني متأكد لستِ مريضة.
-ربما ، مُستعد للإستماع؟
- أنا الطبيب هنا
- إذا تحكم بنفسك لا داعٍ لشد قبضة يدك على القلم ، هو بريء لا ذنب له
-أنتِ.....

قَدَر: بدأت الحكاية منذ تلك اللحظة، من فتاة كانت أميرة منزل والدها ، إلى خادمة مُجبرة على جلب المياه من البئر ومزاولة الأشغال الشاقة
كانت تجبرني على الإيستيقاظ الساعة الخامسة صباحاً لألحق بالماعز والبقر كنت ، أبكي أصرخ لا أحد يسمعني .
أعود للبيت كيتيم قتل مدير الملجأ وهرب حتى لا يدخل السجن ، فرضي بالذل والإهانة ، يُضرب ويلتزم الصمت، يبقى جائعاً ويلتزم الصمت أيضا .

مرت شهرين على تلك الحالة أشتغل ليلا نهارا لا أحد يسأل، حتى أهلي لم يتصل بي أحد ، وكأنهم لم يصدقوا أنفسهم حينما تخلصوا مني، أدركت أنني كنت حمل ثقيل على أكتافهم ، فألقوا بي في أول محطة بدون آهتمام.
شهرين حولتني من فتاة يافعة مضيئة إلى هيكل عظمي مُنطفئ .
وفي يوم رعدي شديد البرد عاد ذاك الذي باعني له أهلي.
في تلك الليلة جربت نوعاً جديداً من الطعن.
بسبب كأس شاي وقع من يدي حينما هاجمني دوار كاد يطيح بي إلى الأرض بسبب عدم أكلي لأيام صفعني على خدي بكل قوة أمام والده، والدته، أخوه، وزوجته، رأيتهم جميعاً يبتسمون ، ثم أمسك بي من شعري جاذبا إياي للخارج ، إلى المكان الذي سأعاقبُ فيه لأنني أوقعت الكأس.
-هل آعتدى عليك وعنّفك مجدداً؟

ابتسامة ساخرة رسمتها قَدَر على وجهها لتنظر في عُمق عينيه قائلة:
- حيث ينام الدجاج .
-ماذا ؟
- ألقى بي في حضيرة الدجاج ، وقال إن خرجت من هنا أعدتكِ لوالدكِ بفضيحة، ثم بسق في وجهي وخرج.
كان الرعد يصم الأذان، المطر دخل للمكان وصِرت كالدجاج مُبللة أرتجف " أمي، أبي ، أين أنتما؟ لما ألقيتم بي هنا؟ ماهو ذنبي؟"
طيلة الليل كنت أردد هذه الكلمات.
ما أسوء شعور اليتم يا سيدي
وما أقساه إن شعر به المرء ووالديه على قيد الحياة .
قضيت الليل بكامله أبكي وأسأل نفسي
تُرى ما الجريمة التي ارتكبتها حتى يكون هذا عقابي؟
لم أجد جواباً ، ربما لأنني ابتسمت للناس كثيرا، وساعدت الكثير، ربما لأنني كنت شخصا مسالما يحب الجميع ولم يطرق الكره والحقد باب قلبه.
جالت في خاطري صورة أبي وهو يمسح عن جفنيه دمعة عالقة حينما كان يراقبني وأنا أتجه لمنصة الإعدام أقصد بيت الزوجية، بيت ماذا لا أعلم كنت مجرد متهم بريء حكم عليه القاضي بالموت بعدما أخذ رشوة.
- أكملي
- أكمل ماذا ، متعبة من الحديث، جروحي تؤلمني، ودموعي تهدد بالسقوط، وأنا لم أعد تلك الضعيفة التي تسمح للدمع بالنزول.

-البكاء ليس ضعفا يا قَدَر
-بل هو كذلك
-أكملي ونتفاهم، كيف خرجتِ من ذاك المكان .
قَدَر: زوجة أخيه أخرجتني لأجهز لهم الفطور وألحق مهامي
لم تهتم لحالتي، لم تُشفق على ضعفي وأنا أرتجف أمامها.
لتدفعني أمامها كبهيمة من أجل القيام بأعمال المنزل الشاقة.
أذكر حينها أنني آعترضت كثيرا
فكان نصيبي حبل مُعلق على الحائط يهوي على جسدي راسما خطوطه الحمراء التي تحولت لخطوط مختلطة بين الأسود والأزرق فيما بعد على يد الجلاّد الذي آشتراني من أهلي بثمن بخس.
عار على الرجولة ضرب إمرأة، وعار على العائلة بيع دمهم بثمن رخيص.

- قَدَر

- كيف هربتِ ؟ كم دام بقائك في ذلك المكان ؟
قَدَر: سنتين وثلاثة أشهر وأسبوعين وخمسة أيام .
- ما سبب الضربة على جبينك؟

بعد صمت دام طويلا بدون إجابة نهضت متجهة نحو الباب تنوي الرحيل ، فتحت الباب وقالت بدون آلتفات:
-قالوا أن شعري لا يعجبهم .

لترحل تاركة ورائها عقلا سيقتله الفضول والتفكير لمعرفة باقي القصة .

قَدَر: قرأت مرة في أحد الكتب آقتباسا للكاتب الروسي دوستويفسكي يقول " لا يمكنك أن تشفى في نفس البيئة التي جعلتك مريضا ، غادر" ، أستطيع أن أقول أن هذا الإقتباس غير صحيح، حتى وإن غادرت هذا الكوكب بكامله لن تستطيع أبدا أن تُشفى من أوجاعك وأحزانك التي آستطانت في قلبك ورفضت السماح لغيرها بالإستيطان .
بعضهم يكتبون فقط عن ما ناسبهم متناسين أن ما يناسبك أنت قد لا يناسب غيرك .
ثم قرأت آقتباسا معاكسا للإقتباس الأول حيث يقول فيه جلال الدين الرومي "
هروبك مما يؤلمك سيؤلمك أكثر لا تهرب تألم حتى تشفى"

وحتى هذا الإقتباس غير صحيح ، لو لم أهرب لكنت في السجن أو في مصحة للأمراض العقلية ولربما كنت غادرت هذه الحياة يوما عبر حبل مشنقة معلق في غرفتي .
أخبرتكم ما يناسبك أنت قد لا يناسب غيرك .

عادت قدر إلى المطعم لتجد سارة في الحديقة شاردة
-إذهبي إليه
- قَدَر ! متى عُدتِ من الجامعة ، تأخرتِ كثيراً، وأذهب لمن؟
- ما أكثرها أسئلتك ، كنت في العيادة عند آدم، إذهبي لذاك الذي يشغل بالك ، عدت منذ زمن طويل وأنتِ لم تكوني هنا .
- كنت أفكر بك وبدراستك فقط محاميتي العظيمة .
- أدرس إجبارا ، تعلمين أليس كذلك؟ سأجهز قهوة ، تريدين ؟
- أدرسي جيدا ، سكر قليل يا قَدَري.

دلفت قَدَر إلى الداخل لتجد شخصا واقفا عند المكتبة محتارا ماذا سيختار .
-هل أساعدك ؟
- نعم
- هل تحب القراءة؟
- مهتم بالأدب الروسي ، وأريد شيئا جديدا
- جرب أن تقرأ للكتاب العرب ، كالدكتور أحمد خالد توفيق مثلا.
- إذا إقترحي كتابا
-لك ذلك ، تفضل وسآتي بالكتاب
-وفنجان قهوة بدون سكر
- حسناً
اتجهت لتصنع قهوة واتجه هو مبتسما حيث مكانه المعتاد ، مرددا في داخله: قَدَر ، قَدَر وكتب العرّاب ، سأقرأ كتبه مجددا لأجلك فقط.

سارة: الحياة ليست عادلة دائما، أحيانا تعطيك شيئا جميلا لكنها تأخذ منك شيئا أجمل ، وأحيانا تدعك تحلم وأحيانا تضع لأحلامك حدّ.
قضيت عمري بأكمله أركض لكن لم أصل لشيء، لعنت كل ما ركضت لأجله، تركتني أمي في منتصف الطريق لأكمل السبيل مع أبي لكنه تركني في المحطة

التالية، لأكمل وحدي خائفة، وفي ليلة خلدت فيها للنوم باكية على والداي قلت لربي" يا الله إن كنت ستعطيني أطفالا وتأخذني منهم فلا تعطِهم لي من الأساس، والأن وبعد عشر سنوات زواج كنت كل يوم أتحسر ندما على تلك الدعوة التي قلتها وكانت أبواب السماء مفتوحة فآستجاب لها الله .
زوجي رجل طيب هاجر تاركا لي في هذا المكان وحيدة ، كنت أعاني من وحدة قاتلة ، حتى دخلت قَدَر حياتي لتغيرها بالكامل أصبحت أما لها ، كلما آحتضنتني شعرت أن الله عوضني ، حتى عندما قابلها زوجي أول مرة قال لنقم بتبنيها نغير إسمها ونسبها ، لكنني رفضت .
أعرف قَدَر من الداخل ، ومتأكدة أنها ستسامح أهلها يوما ما وتعود لأحضانهم.
لقد سهرت لأجلها كثيرا طوال هذه الشهور التي قضتها معي ، أعدتها لدراستها وأدخلتها كلية الحقوق وأخذتها للطبيب النفسي ، يسألني الجميع من تكون قدر فأجيبهم :
قَدَر تعويض الله، قَدَر شمسي التي أضاءت قلبي وحياتي .
اليوم إن حدث شيء سيء لقَدَر سأنتهي أنا بعدها .
أخبرتني ذات مرة أن محمود درويش كان مُخطئا حينما قال" على هذه الأرض ما يستحق الحياة"
فسألتها لماذا ؟
قالت لا شيء يستحق الحياة حينها وافقتها الرأي وأخبرتها معكِ حق.
أما اليوم إن تكرر الموقف سأقول لها مخطئة يا قَدَر ، على هذه الأرض ما يستحق الحياة، على هذه الأرض أنتِ تستحقين الحياة .

-سارة، يا سارة
-قَدَر، ماذا هناك
-ما بكِ اليوم ؟ من دقائق أنادي ، القهوة جاهزة .
- حسنا ، إجلسي
-لا ، سأقدم كِتاباً لشخص في الداخل
-حسنا قَدَر، عودي عندما تنتهين.

دخلت قَدَر لتأخذ إحدى الكتب وتقدمها لهذا الغريب الذي لم ينفك يراقب تحركاتها .
تقدمت وبين يديها كتاب وقدمته له في صمت .

عادت قَدَر ناحية المكتبة وجلست لتقرأ، بينما هو يتظاهر بالقراءة في حين يراقبها .
دامت مراقبته لها لوقت طويل قبل أن يقطع تأملاته إتصال وينهض ناحية الباب ، كان على وشك الرحيل لكنه عاد مجددا ناحية الكتاب وحمله وآتجه ناحيتها قائلا:
هل يمكنني أخذه؟
-أجل يمكنك بشرط أن تعيده
- حسنا، سأعيده
غادر مُبتسماً ، وعادت هي للغرق بين كتبها.

مضت أيام كانت فيهم سارة تهتم لقَدَر كثيرا ، أدويتها تغديتها دراستها، ذَكّرت سارة قَدَر بوالدتها ، وعاشت سارة إحساس الأمومة.
غريب أمر الحياة تجمع بين شخصين محرومين من شيء مهم في حياتهما وتجعلهما قريبان، إحداهن تفتقد أمها والأخرى تفتقد شعور الأمومة.

- سارة ، سأخرج قليلا للبحر
-لا تتأخري، تعالي إلى المطعم سأكون هناك
- حسنا يا جميل .

خرجت قدر مُتجهة إلى صديقها المخلص البحر .
جلست تتذكر أحداث مضت لا زالت تحرم عنها الشعور بالأمان

قدر: لماذا لا نملك ساعة تعيدنا بالزمن إلى الوراء؟
إن أخطأنا عُدنا لنصلح خطأنا وإن أذنبنا نعود لنحرص على عدم آقتراف ذاك الذنب، وإن مات حُلما نرغب به نعود لنحميه ونحرص على بقائه.
أذكر أنني في فترة مضت كانت أحلامي وردية، حلمت بمستقبل مشرق ، بفارس أحلام يقع في حبي ونبني بيتا دافئا ونؤسس عائلة صغيرة، كنت أنسج في خيالي حكاية حب أسطورية تشبه حكايات أبطال الروايات التي أقرؤها،
لكنني لا أعلم لما هجم الرماد على حياتي ؟
تراه غار من لون الزهر ؟
لا أعلم ، كل ما أعلمه أنني عالقة بين الأسود والأبيض بعدما آختفت الشمس عن حياتي وحل محلها الظلام.

-لماذا تبكين؟
صوت صغير اخترق سمعها لتلتفت وتجدها فتاة صغيرة تحمل في يدها زهرة بيضاء ابتسمت بهدوء لتقول
قَدَر: أنا لا أبكي يا صغيرتي فقط أمواج البحر دخلت عيناي
- عيناكِ جميلة جداً.
-عيناكِ أجمل ، ما إسمك؟
- إسمي نور وأنتِ

- إسمي قَدَر
- إسمكِ جميل جدا ، سأقول للبحر أن يتوقف عن جعلِ عيناكِ تبكي .
ضحكت قَدَر لتقول: حسنا يا صغيرة
-أنظري، أرسلني شخص إلى هنا ، قال ستجدين فتاة ترتدي فستان أسود على كرسي وحيدة ، قدمي لها هذه الوردة والرسالة .

أخذت الصغيرة الرسالة والوردة من حقيبتها وقدمتهم لها ثم نهضت لترحل
- من هذا الشخص ؟
- لا أعلم فقط قال أعطيهم لها وأخبريها أن لا تبكي
قبلت الصغيرة قَدَر ورحلت.

فتحت الورقة لتجد خط فيها بخط جميل " كفراشة بيضاء تُقبل التوليب ، هكذا كنتِ ذاك اليوم ، صوتكِ كأنه معزوفة بيتهوفن المفقودة ، رغم الندوب أنتِ جميلة يا فراشة الخريف"

بآستغراب شديد أعادت قراءة المكتوب لتضعها بين كتاب تحمله وتأخذ الوردة وترحل عن المكان. .

في سيارته يراقبها والإبتسامة تعتلي وجهه ليلحق بها ببطئ متناسيا العالم بأسره .

وصلت قَدَر إلى المطعم لتجده ممتلئا وسارة توزع المهام على باقي العمال
-مرحبا سارة
- قَدَر لدينا عمل كثير خذي أدويتك واذهبي للحديقة كلي طعامك .
- دعيني أساعدكِ
- قَدَر لا يوجد عمل كثير هيا آذهبي

ذهبت قَدَر لتأخذ مقعدها المعتاد في الحديقة وتأكل بهدوء قبل أن
: لقد أعدت الكتاب
آلتفتت لترى من خلفها ، فوجدته نفس الشخص الذي أخذ منها الكتاب سابقاً
-غريب هل أنهيته بهذه السرعة؟
:نعم أنا من محبي المطالعة
- جيد سيد___

وِسام ، إسمي وسام:
- حسنا سيد وِسام ، هل تريد كتابا أخر ؟
- بالطبع
نهضت قَدر لتأتي بكتاب أخر وآختارت مجددا إحدى كتب الدكتور أحمد خالد توفيق، قدّمته بآبتسامة ليشرد فيها
- تفضل
أخذه ونهض قائلا : أراكِ لاحقا يا قَدَر
آستغربت معرفته لاسمها وقبل أن تسأله غادر

في سيارته بجانب باب المطعم يحتضن الكتاب ببسمة، ليقاطعه صديقه قائلا
: قلت ستجلب قهوة فعدت بكتاب ، ما بك وسام أنت تملك مكتبة كبيرة في منزلك .
-إسمها جميل جدا وغريب
تقصد الرواية التي بين يديك:
- أقصد قَدَر، إسمها قَدَر، إبتسامتها جميلة لكن لون عينيها لم أستطع رؤيته ، لا ترفع نظرها لي، لا تنظر لعيناي
وسام عن ماذا تتحدث:
- عن قدري.
ومن تكون هذه:
- لا أعلم

قالها ليحرك سيارته مبتعدا عن المكان ، يبتسم طوال الوقت تاركا صديقه مستغربا وضعه

وِسام: قضيت عمري بأكمله في المعاصي، كنت كل ليلة أعود لمنزلي مُثقلا بالسكر متناسيا إسمي، أضعت طريقي منذ سنين ، هجرت سجادة الصلاة ونسيت عنوان المسجد أين ، حتى وجدتها ، كانت صدفة جميلة وفنجان القهوة الذي كنت أرغب بشربه ليخفف ألم رأسي بسبب الصداع لم أحتسيه ذاك اليوم، تحول الفنجان لفراشة جعلتني أكتشف أن لي قلب ينبض في قفصي الصدري .
ليست جميلة حد الفتنة وليست ملاك، الضربة على جبينها واضحة رغم محاولاتها البائسة في إخفائها بالحجاب، لكنها ومع ذلك مضيئة، مميزة ، راقبتها طويلا ، لحقت بها في كل مكان ، حتى المسجد كنت ألحق بها وأنتظرها حتى تخرج ، آلتقطت لها العديد من الصور ووضعتهم في غرفتي، أعلم أن هذا شيء سيء لكن

الشيء الوحيد الذي يضيء قلبي صورتها في خيالي، ولأن منزلي مظلم وضعت صورتها فيه لتطرد الظلام . قَدَر حتى إسمها مميز ، كأنها عصفور كناري بين سرب من الغربان السوداء هكذا هي في هذه المدينة.

في مكان أخر سيدة تبكي وهي تُمسك بهاتف وتضعه على خدها منتظرة الرد ، ليأتيها بعد وقت قليل

: قَدَر

قَدَر: _____

: ألن تغفري، فقط أجيبي، كل. هذه الشهور وأنتِ تعاقبيننا، هل أنتِ بخير صغيرتي ؟

قُطع الإتصال لتدخل السيدة في موجة بكاء حادة تحت نظرات زوجها الحزينة

: لن تنسى ولن تسامحنا

لينهض هو تاركا المكان

عند قَدَر
لماذا ؟ لماذا تتصل بي ، لماذا تسألني الغفران والعقاب، أنا هربت حتى لا أعاقبهم ، عن أي عقاب تتحدث هي ؟
أنا من كُسرت ، أنا من تحطم، أنا من عشت الموت مرات عديدة، أنا من تعرض للإغتصاب والقمع والتعنيف وشتى أنواع الأذى، أنا من عدت أطلب منهم مساعدتي لعلاج كل ما ألحقوه بي وسلموني للمجتمع والعادات والتقاليد، وقالوا عني مُطلقة هربت من بيت زوجها كيف لها أن تعيش كباقي النساء.
كيف أغفر يا أمي ؟
كيف أسامحكم وأنا أخاف الإستحمام خوفا من رؤية تشوهات جسدي ؟
عن أي عقاب وجهته لهم يتحدثون ؟
لما جميعهم يفكرون بأنفسهم فقط
: قَدَر
- أرجوكِ سارة ، لا تقولي شيئا ، لا تتحدثي

نهضت تاركة المكان وقلب سارة يتألم
سارة: ليتهم يتعمقون في عينيكِ، ليتهم آستطاعوا رؤية جروح روحك الدامية كما رأيتها أنا .

قَدَر: أنا كلما قلت تجاوزت أجد نفسي لا زلت أغرق ، كلما ظننت أن ذاك الضوء شمس تشرق خلف الغيوم ، يتضح أنه مجرد سراب .
أشعر وكأنني أسبح في بركة رمال متحركة كلما ظننت أنني نجوت وسأصعد تجذبني للعمق مرة ثانية .
إلى متى يا قَدَري؟ إلى متى ؟

بخطى ضعيفة آتجهت قَدَر نحو العيادة، أصبحت تبحث فقط عن شيء تُفرغ فيه كل ما يؤلم قلبها ، حتى وإن كلفها الأمر البكاء ووضع ملحا على جروحها من جديد .

-هل يمكنني الدخول؟
- قَدَر، مجددا بدون موعد ، تفضلي
- أنا متعبة ، هل لديك دواء يجعلني أفقد الذاكرة ؟
-ماذا جرى ؟

- فقط أريد أن أنسى، يتهمونني أنني أعاقبهم وهم من قصّوا جناحيّ .
- إسمعي يا قدر لا يمكن للمرء أن يتعالج بصفة نهائية بدون مروره بخطوات، عليكِ التغلب على كل ما مررتِ به خطوة خطوة
سيلان النهر لا يأتي مرة واحدة بل يأتي نقطة نقطة .
توقفنا الحصة الماضية عن سبب الندبة على جبينك ، أكملي من هناك ، خطوة خطوة يا قَدَر حتى تتخلصين من كل ما مضى بصفة نهائية .

قَدَر: أتمنى

بعد ما يقارب سنة كنت خلالها شخص باهت شخص فقد معالم الحياة ، سنة كاملة تقريبا لم يزرني فيها أهلي لم يتصلوا بي ، حتى ذاك الذي تزوجني لم أره مجدداً آختفى وتركني لعائلته، سنة كنت أنام على حصير قديم مهترئ جالسة خوفاً من أخيه الذي كان دائما يحاول الإعتداء عليّ
- كيف، أقصد أي نوع من الإعتداء؟
- الإعتداء الجنسي ، نجوت منه مرات عديدة ، في يوم كنت مريضة جدا ، لم أكن قادرة على الحركة لتدخل عليّ أمه ، لم ترأف بحالتي كل ما فعلته أنها حرمتني بقدمها كي أنهض، لم أستجب لتجذبني من شعري ، شعري المجعد بعض الشيء الطويل لم ينل إعجابها لتقول بصوت ساخر لا زال صداه يتردد داخل أذني " ما هذا الشعر، أشبه بذيل حصان مشوه" ، ثم آختفت لدقائق وعادت هي وزوجة إبنها وبيدها سكين خضر ، قالت لها إجعليها تجلس ، لوهلة ظننتهم سيشفقون عليّ لكن الحقيقة كانت غير ذلك تماماً .
أجلستني مجبرة لتلتفت الأخرى ورائي وتحرر شعري ، صرخت كثيرا ومن فرط حركتي حملت السكين بُغية إخافتي فضربتني على جبيني ، منظر الدم شلّ أطرافي ، أخاف الدم ، أخاف اللون الأحمر لأدخل مرحلة اللاوعي ، لم أعد أعي ما يحصل لم أشعر بشيء إلى مياه باردة تضرب وجهي بعنف لأصرخ صرختي الأخيرة، حمَلت شعري بين يديها وقالت لم تعد فائدة ثم جذبتني من يدي إلى حفرة بها نار أوقدتها وألقت به ، فصارت خصلات شعري دخاناً ، جبيني ينزف والضربة لا تؤلمني ، الشيء الوحيد الذي كان يؤلمني هو ذاك الجرح العميق في روحي ، حتى صوتي تخلى عني ، أضحيت جثة متحركة ، لم يحرقوا شعري حينها ، حرقوا قلبي، أقسم أنني آستطعت شمّ رائحة الدخان تنبعث من قلبي ، لقد عذبوني يا سيدي ، لم يرأفوا بي رغم صرخاتي رغم تعبي ، وليتني آقترفت ذنبا أستحق بسببه كل ما حدث .

نظرت قَدَر إلى طبيبها لترى دمعة تلمع على جفنه، وبدون سابق إنذار آنخرطت في بكاء مرير، بكاء سيدة ألقوا بصغارها في زيت مغلي ، وكل ما كانت ترده
"أقسم لم يكن ذنبي، لم أفعل شيئا أستحق لأجله كل ذاك العذاب ، لا زلت عاجزة عن النوم مرتاحة، لا زلت أهاب الرعد والمطر واللون الأحمر الذي يذكرني بالليلة التي أخذوا مني برائتي "
- قَدَر، كيف خرجت من ذاك المكان ؟
- قضيت سنة أخرى في تلك الغابة، سنة أخرى خرجت من ذاك المكان جثة هامدة.
-هل تستطيعين ختم قصتك اليوم؟
-لست بهذه الشجاعة لأفتح جروحي دُفعة واحدة
- أنتظرك في الجلسة القادمة
- بإذن الله

آتجهت قدر ناحية الباب ليخترق سمعها صوت آدم يقول :
قَدَر ، لعلّ الله أراد أن يمتحنكِ ، لا تيأسي
- هذا الإمتحان قاسيا جدا يا سيدي ، قاسٍ جدا .

رحلت بخطوات ثقيلة وكأنها تحمل جبلا على كتفها لتجد نفسها أمام البحر .
رغم الصخب لم تكن تستمع لشيء كان الهدوء يعم المكان والدموع تحفر خديها

: يُقال البكاء وحيدا قد يجعل الجن يقع في غرامك
-أنت !؟
: نعم ، أنا ، لقد رأيتك بالصدفة ، وجلستِ في مكاني المفضل أيضا.
- لكن هذا مكاني منذ شهور
-بل هو مكاني منذ سنين
-حسنا ، يمكنك الجلوس سأرحل
نهضت تنوي الرحيل ليقاطعها قائلا
: قَدَر ، لا أعلم ما الذي دفعك للبكاء لدرجة لم تشعري بشيء حتى بي وأنا أقف هنا منذ نصف ساعة لكن، إذا آستمريت في البكاء على أشياء لربما مضت فلن تستفيدي شيئا غير مضاعفة الألم في قلبك، كذب من قال أن البكاء يريح النفس ، ستعودين للمنزل تقفين أمام مرآتك وتبكي على منظر ملامحك الذابلة .
- سيد وِسام أنت لا تعرف شيئا

- لا يهم ، لكن كفاكِ وقوفا على الأطلال الحياة لا تتوقف ، كوني قوية الحياة لا ترحم الضعفاء .
- الحياة لا ترحم أحدا ، وداعا سيدي

غادرت تاركة خلفها قلب ينبض ألما لها

وِسام: دموعك تحرقني يا قَدَري .

قَدَر: دموعي تحرق وجهي يا الله

غريبان لكل منهما قصة ، آستطاعت قَدَر سلب قلب وِسام من الوهلة الأولى ، ولم يستطع وِسام لفت آنتباهها حتى .
ترى ماذا يخفيه الغد وما قَدَرُها ...

في المقهى عاد له بعد أيام طويلة ، عاد مشتاقا لرؤيتها متلهفا لسماع صوتها ، جالس منذ ساعات ينتظر ظهورها

: أراك تأتي كثيرا وتنتظر كثيرا هنا ؟
- عفواً
-سؤالي واضح
- فقط تعجبني القهوة ويعجبني المنظر
- آملُ ذلك

غادرت من جانبه تاركة إياه متخبطا خائفاً من كشف ما تُخفيه عينيه ، رن هاتفه ليجيب
: حسنا أنا قادم
وضع الحساب وغادر بخيبة لعدم رؤيتها
في الشارع يسوق سيارته حزينا ، لتجذب آنتباهه فتاة بفستان أصفر تداعب طفلا يبكي ، خطرت بباله صورتها تتمنى رؤيتها لوهلة فقط ، ليحن قدره وتلتفت له
وِسام: ها قد أشرقت الشمس
لم تنتبه له ، من بعيد هو ينظر لها حتى نجحت بجعل الطفل يبتسم وتركته في آتجاه المطعم.

وِسام: كيف أخبرها أنها أصبحت شيئا مهما بالنسبة لي، كيف أجعلها تنظر لي ، كيف أقنعها بالنظر لهذا الغريق في بحر عشقها؟
قَدَر، لم تكوني يوما ضمن مخططاتي
آعتدت الظلام يا صغيرة ثم أشرقتِ فجأة ، أشرقتِ على قلب لم تنتبهي له .

وصلت للمطعم لتجد سارة شاردة
-سارة هل أنتِ بخير؟
-لقد أعاد الكتاب
- من ؟
- نفس الشخص الذي يأخذ الكتب ويستمر بمراقبتك
- تقصدين وِسام؟
- أنا لا أعرف من يكون ، لكن، يا قدر إنتبهي

رحلت سارة وتركت قَدَر مستغربة طريقة حديثها معها ، لتقرر الأخيرة الخروج دون آهتمام لشيء .

على البحر يجلس رفقة صديقه ليقول
- بسببك لم أستطع التحدث معها
: من هذه ؟
- قَدَري
: أخبرني عنها
- تشبه الشمس ، فتاة حقيقية بملامح طبيعية وقلب نقي كالثلج، تهتم للجميع حتى الغرباء .
تشبه بزوغ الشمس على ازهار دوارها الذابلة هكذا تفعل بقلبي.
: كأنني أعرفها
-لا أظن ، أنا وأنت لم نلتقي قط بملاك يُشبهها، فتاة لا تتأخر عن الصلاة، لا تتأخر عن جبر خواطر المتعبين ، تقرأ القرآن بصوت عذب ، حتى القطط في الشوارع كلما رأتها تركض لها ، هي فتاة

قطع باقي حديثه رؤيته لها على الرمال مباشرة أمامه تُمسك كتابا وتقرأ
: ما بك؟
-إنها هي ، هناك ، أنظر
أشار لصديقه لينظر كلاهما لها
دقائق صمت أحدهم مصدوم والثاني قلبه يقفز فرحاً
- أنظر ، ألم أقل لك أنها ملاك، طبيعية كالشمس
:ـــــــ
-ما بك ، أخفض أنظارك عنها
: هل تحبها؟
- لا أعلم، لكن ما أشعر به كبير كبير جدا، لا يوم جيد بدون رؤيتها
: إبتعد عنها ، إلاّ هذه الفتاة
صدم وسام من حديث صديقه ليسأله بنبرة غاضبة :
لماذا ؟
: نصحتك وِسام تلك الفتاة التي وقعت في حبها كما تقول لن تكون لك ، أنت بقلبك جُرحاً وهي جروحها تضاعف جروحك ، لن تنفعك ستؤذيها وتؤذيك .

قال كلامه لينهض ذاهبا عن المكان تاركا رفيقه مدهوشا، آستطاع التغلب على دهشته ليلحق به صارخا
-لماذا تتحدث عنها هكذا ، كيف علمت بجروحها ، هل تعرفها ؟
: لا أعرفها ، لكن إبتعد عنها ، إبتعد عنها ولا تقترب
-أخبرتك أنها الشيء الوحيد الذي آستطاع أن يضيئني، لماذا تريدني أن أبتعد ، لماذا؟
: كيف لشخص يعيش في الظلام والحزن أن يضيئك يا وِسام، قَدَر كائن حزين فقد لمعة الحياة منذ زمن
بصوت مرتفع سأله وِسام: وأنت من أخبرك هذا، هي فراشة مضيئة ، آنظر لها ، كيف تقول عنها هذا الكلام ؟
: لأن قَدَر، قَدَر مريضة لديّ يا وِسام، تلك الفتاة تأتي إلى العيادة كل فترة ، أنا طبيبها يا صديقي.
- مريضة، مريضة بماذا ، أنت مجرد طبيب نفسي
- أنت قلتها ، طبيب نفسي، وهي مريضة لدي ، أو لن أقول مريضة قَدَر تأتي إلي لتتحدث عن أوجاعها
- أخبرني ، ما بها؟
- أسف، هذه أسرار تمس بأخلاق مهنتي ، وداعاً الآن يا وِسام .

ضل واقفا مكانه يراقب صديقه الذي تركه ، ويلتفت لمن آستوطنت قلبه ينظر إليها بألم

عند قَدَر كانت تنظر بشرود للبحر وذكريات ماضيها تلاحقها : إلى متى سنستمر بالهروب؟
: إلى أن نتوقف ونواجه حتى وإن كانت الهزيمة مصيرنا

آلتفتت لترى من يحدثها فوجدته هو
- هل يمكنني الجلوس ؟
قَدَر: تفضل
- لماذا البحر بالضبط ؟
- كل يرتاح مع شبيهه
- وهل يُشبهك البحر ؟
- عُمقه فقط ، عُمقه المظلم

- هل أذتكِ الحياة أيضا ؟
-ربما الحياة بريئة، غريب أمرنا نحن البشر ، إن فشلنا نتهم الحياة، إن وقعنا نتهم الحياة، وإن أخذنا طعنة في ظهرنا أو قلبنا نتهمها أيضا .
بينما هي لا دخل لها ، لم تمسك سكينا لم تدفعنا لنسقط، ليست الحياة من آذتنا إنما أولئك الذين على قيدها أحياء ولأننا عجزنا عن مواجهتهم ألقينا باللوم على الحياة لأنها سيدة خرساء مبتورة اليدين واللسان ، لا قادرة على الصراخ في وجوهنا ولا حتى عن تلقيننا درسا بيديها حتى نكف عن آتهامها وتحويلها لوحش.
- ربما كلامك صحيح
- هو كذلك ، أدركت أن لا ذنب للحياة فيما يحدث لنا ، نحن من ظلمنا أنفسنا برعونتنا وصمتنا وقبولنا بوضع ندرك منذ البداية أنه لا يليق بنا ، وحينما يأسنا قلنا الحياة السبب
- إنه الغروب ، أنظري
- لم تشرق قط لتغرب
نظر لها طويلا ليقول
: بل أشرقت بالفعل
لم تنتبه له لتبتسم بسخرية قائلة:
أدام الله إشراقها إذا
ثم نهضت تاركة المكان ، ليصيح قائلا
-قَدَر، قد تجبرنا الحياة يوما وبطريقة غير مباشرة أن نقع ، لكن النهوض أو البقاء في مكاننا هو أمر يعود لنا نحن، الماضي الذي أبدع في رسم الحزن على عينيكِ ألقي به في هذا البحر وآبتسمي
- أخبرتك سيد وِسام الحياة بريئة
ثم مضت نحو مكان أخر تتذكر فيه ما مضى

وِسام: أول مرة أراها من جانب أخر، خلف تلك الإبتسامة الجذابة الكاذبة أدركت أن هناك عالم آحتله الحزن والألم
أدركت أنها كذبت ، من يبتسمون حقيقة تنعكس ابتسامتهم في أعينهم ، بينما هي لا تصل آبتسامتها لعينيها أبدا .
ترى ما قصتكِ؟

تمضي الأيام وتستمر مراقبة قلب أضناه الفضول لكشف ما تُخفيه فتاة صغيرة مثلها .
تمضي الأيام وتآبى الكوابيس والذكريات ترك قَدَر تعيش في سلام
تمضي الأيام ويزداد إحساس سارة بالخوف من هذا الزائر الذي لا يُنزل عينيه من على صغيرتها

بعد خروجها من جامعتها آتجهت مباشرة للعيادة أملا في التخلص من لعنة الماضي والعيش بسلام غافلة عن ذاك الذي ترك كل شيء وأضحى حارسا شخصياً لها .

قَدَر: مساء الخير، لدي موعد
: تفضلي بالدخول

- مرحبا سيد آدم
- قَدَر ، ما الأخبار
- لا جديد ، لكن أصبحت أرغب بالحديث عن كل ما مضى، أمل كبير في قلبي يخبرني أنني سأكون بخير نوعاً ما.
- الحديث أحياناً أفضل من ألف دواء
- لا أحب الأدوية أنا ، شربتها كثيرا لم يعد لها تأثير على جسدي.
- قبل البدء ، هل يمكنني طرح بعض الأسئلة؟
- تفضل
-شخص مثلكِ عاش كل هذه التجارب القاسية ، هل يمكن أن يأتي يوم ويُسلم قلبه لأحد، أقصد ماذا لو علمتِ أن أحدهم يُحبكِ ، يحبك بدون شيء وبدون معرفة شيء عنكِ
- صفعة مرة واحدة على خدك تجعلك تخشى كل يد تمتد ناحيتك حتى وإن كانت غايتها مسح دمعة عالقة على خدك، هذه صفعة فما بالك بمن تشوه جسده على يد رجل آشتراه بثمن رخيص من أهله، ما بالك بمن تنمر الجميع على بنية جسده، أنا شخص مُشوه يا سيدي من الداخل والخارج أيضا.
لن يُحبني أحد ، أنا عار ، مجرد عار هذا ما يقوله الجميع
هل سيقع أحدهم بحب مُطلقة؟
وهل يحِقّ لمطلقة أن تعيش قصة حب كمن بمثل عُمرها؟

لن يُحبني أحد يا سيدي ، أنا طوال الوقت حزينة ومكتئبة، وأملك جسدا وروحا مشوهة .
- ربما لقدركِ رأي أخر يا قَدَر.
-أرجوك سيد آدم لا تُحدثني عن هذا الموضوع مجددا، أمثالي لا يقعون في الحب ولا أحد يقع في حبهم، أمثالي يبقون حياتهم بأكملها سجناء للعنة المجتمع .
-مُخطئة يا قَدَر
-لا بأس أنا أساسا مجرد خطأ .
- حسنا لنترك هذا الحوار ، أكملي قصتك .
- مضت سنة و شهور على كل ما مررت به ، أكثر من سنة لم أُخرج كلمة من بين شفتاي، رضيت بقدري وبؤسي واعتدت كل تلك الأشغال الشاقة والضرب والإهانة دخلت ما يُقارب السنتين في تلك المدة لم يسأل عني أحد، كأنهم لم يصدقوا الخلاص مني ، وأنا لم أسأل عن أحد آعتبرت نفسي يتيمة وجدوها في إحدى أزقة المدن القديمة ولربما عبد إشتروني لأقوم بمهامهم، أسقي وأرعي الغنم والأبقار صباحا وأعود لأشغال البيت ثم أركض مساءًا لنفس المهمة ، أصبح جسدي هزيل جدا وأصبحت خرساء .
وفي ليلة غير متوقعة كان الجو حارا جدا والمنزل خالٍ إلا مني والكلاب ، كنت أحتضن نفسي في زاوية الغرفة أحاول إيجاد طريقة أهرب بها من هذا المكان ، لكن إلى أين سأهرب؟
هل سأعود إلى والداي ؟
أم أرحل من هذه المدينة ؟
في هذه الشهور التي قاربت السنتين نسيت شيئا مهما ، نسيت ذكر ربي ، فجلست أسأل نفسي ، ترى متى كانت أخر مرة سجدت فيها ؟ متى كانت أخر مرة رفعت يدي للسماء أطلب الفرج من الله
نسيت الله فأنساني نفسي ، لكني يا الله تائهة حتى هؤلاء القوم لم ألمح في منزلهم كتاب الله أو حتى سجادة الصلاة .
حتما هم لا يعرفون الله لو عرفوه لما فعلوا بي كل ما فعلوه
في دوامتي تفكيري وعتابي لنفسي ، دخل أخ ذاك الذي آشتراني .
-لكنه كان زوجك لماذا تقولين آشتراكِ
- الزواج يكون كاملا حينما يكون الرضا ، حينما لا يكون إجباراً ، لم أتزوج برضاي لقد آتفقوا جميعا وعقدوا صفقة بينهم وكنت أنا سلعة آنتقلت من بيت والدها إلى بيت من أطلقوا عليه لقب زوجها تحت غطاء العرس .
- أكملي ، ماذا حدث حينما دخل

-أخذ يصرخ بي بسبب عدم تجهيزي للأكل، ثم جذبني من ذراعي دفعته لينزل علي بالصفع والضرب ثم آعتدى عليّ.
- تقصدين آعتداء جنسي ؟
-نعم آعتداء جنسي كانت زوجته شاهدة عليه وحينما أكمل جريمته ،نزلا عليّ ضرباً حتى سحبتني دوامة سوداء نحو الأعماق .
-ماذا فعل زوجك ، أقصد
- لا عليك ، طوال تلك السنتين قابلته ثلاث مرات ، لم يكن حاضرا لم يعد إلا بعد شهرين من الحادثة .
أخوه وزوجته بعد فِعلتهم كانوا يعذبونني نفسيا ، كلمات جارحة وتنمر وضرب وإهانة ، كنت أرى نظرات الإستمتاع في أعينهم .
- بعد الإعتداء لماذا لم تهربي ؟
- أهرب، إلى أين؟
أنا لا أعرف الطريق، لا أحد يُخرجني من هناك، وإن هربت سأكون فريسة للكلاب الضالة أو قطاع الطرق ، فضلت الجلوس أنا ميتة على كل حال، قضيت أربعة أشهر أخرى ليعود ذاك العجوز الذي تزوجني وينتهي الفصل الأول من حكايتي وأدخل في حرب مع العائلة والمجتمع ، ثم تتوالى محاولات نبذي ونفيي لأنني عار، لأنني مُطلقة .
- أكملي
- مرة ثانية يا سيدي، لا أحب الحديث الطويل ولا أحب النوم على هذا السرير والنظر للاشيء.
نهضت قَدَر مُتجهة ناحية الباب ليقاطع ذهابها آدم قائلا:
قَدَر قرأت مرة جملة تقول " قد لا تكون بداية قصتك سعيدة، لكنها لا تحدد شخصيتك"
المعنى حتى وإن كنتِ مررتِ بتجارب سيئة وقاسية ، حتى وإن كتب عليك مدى الحياة أنك مُطلّقة فهذا لا يعني أن تُدفني نفسكِ في هذا اللقب ، لا عليكِ بالمجتمع وترهاته.
- لا يهمني المجتمع، لم أعد أهتم صدقني
- الحياة تستمر يا قَدَر اليوم أنتِ تعانين من الماضي وغدا سيكون صفحة سوداء في كتاب حياتك المليء بالألوان، غدا تلتقي بمن يكون تعويضا لكل ما حدث
- لن يرغب بي أحد يا سيدي
-لماذا ، ماذا ينقصكِ؟
قَدَر: لأنني مُطلقة

خرجت قَدَر بدون آنتظار حديث أخر، خرجت بقلب نوعاً ما أصبحت نبضاته مستقرة وجروحه بدأت بلملمة نفسها.

في العيادة
يقف على النافذة يراقبها بحزن وهي تبتعد بخطوات تائهة عن المكان
: لماذا كانت هنا ؟
آدم وبدون أن يستدير قال له: أخبرتك قَدَر حالة من الحالات لدي تتابع معي ، أنا طبيبها.
- أخبرني ما بها ؟
آلتفت له بصمت
-أسف ، لا يمكنني شرف المهنة لا يسمح لي بفضح مرضاي
- كلانا أطباء ، ما الفرق
- الفرق أن تلك أسرارها، أنا طبيبها النفسي لا يمكنك فهم هذه الأشياء .
- قد أكون أنا علاجها
-وِسام، قَدَر لا تعاني من مرض جسدي، قدر تعاني من تعب نفسي ، إن أردت أن تعرف قصتها إذهب واسألها
- لكنها رحلت
- لكنك تعلم أين ستجدها
وقف شاردا في صديقه ليقول الاخير:
-وِسام ، ما عاشته قَدَر صعب جدا، وستتعب أنت جدا

غادر بصمت يعلم جيدا أين سيجدها

على البحر مجددا تجلس في مواجهة الأمواج

قَدَر: الأفكار والذكريات والوحدة كل هذه الأشياء أسوء من بعضها البعض، أن يبقى المرء أسيرا لذكرياته السوداء وأفكاره الشنيعة التي تضرب رأسه كالفأس في قلب الشجرة هو بمثابة وضعه في غرفة مليئة بالعقارب السامة كلما تغلّب على واحدة لذغته أخرى ويستمر كفاحه للنجاة حتى يجد نفسه يسقط صريعا لكل تلك السموم التي آمتصها جسده

: السعادة لحظات تمر مرور مطر الصيف، والحزن ضيف ثقيل لا يمر مرور الكرام
- إلى متى ؟
-إلى متى ماذا؟
- إلى متى ستستمر بملاحقتي؟
- أتيت لرؤية البحر مثلك
-وتأتي للمطعم أيضا لشرب القهوة التي تبقى على الطاولة حزينة تنتظر لفت آنتباهك
- لا ، أنا
- توقف عن ملاحقتي ، وداعاً
- قَدَر، لحظة
لم تستدر لكنها توقفت مكانها في آنتظار ما يرغب بقوله،
وقف مواجها لها ليمد يده بزهرة بيضاء وورقة
-هذه لكِ
- أنت ؟
- نعم ، أنا من أرسل تلك الصغيرة ذاك اليوم ، رجاءًا لا ترميها ، إقرئيها، لن أزعجك ..
أخذتهم منه لتذهب بعيدا عنه .

وِسام : العجز ، هذا ما أشعر به ، لا أنا قادر على معرفة الحقيقة ولا أنا قادر على اللحاق بها وجعلها تخبرني عن أوجاعها.
ظننتها لا تعاني من شيء كيف يمكن لملامح هادئة كتلك أن تتعالج عند طبيب نفسي .

آبتعدت قَدَر كثيرا عنه لتجلس على صخرة وتفتح الورقة
"كنتِ تبدين جميلة جدا ذاك اليوم ، اللون الأصفر يليق بك ، كأن هذا اللون خُلق لأجلك فقط ، آبتسامتك للطفل الصغير أسرتني، عيناكِ التي أجهل لونها الحقيقي والرموش المنتصبة فيهما سقطت كالشهب في قلبي .
ذاك اليوم حينما خجلت الشمس من الظهور وأخفت نفسها وراء الغيوم، كانت خجلة من مواجهتك
قَدَر، تشرق الشمس في حياتي فقط عندما تبتسمين".
آبتسمت بسخرية للورقة ثم فتحت دفتر في حقيبتها ووضعتها مع الورقة الأولى وأخفت الزهرة في نفس الكتاب.

قَدَر: سخيفة هي الحياة أو لربما قدري فقط هو السخيف ، حينما يأست أنا وكرهت حياتي وجسدي والمجتمع ظهر في حياتي شخص مجهول يلاحقني في كل مكان.
كيف أخبرك يا سيدي أنني لا يحق لي حتى التفكير أو النظر في أحد .
كيف أخبرك أن فتاة مثلي تحمل في جبينها إسم مُطلقة لا يحق لها العيش في هذا المجتمع البائس.

حل المساء والصمت طغى على المكان
في المطعم تجلس قَدَر على كرسي تحمل بين يديها زهرة بيضاء شاردة في كل ما مضى وكل ما هو قادم .

ومن بعيد تراقبها سارة ببال مشغول ، وقلب خائف

وفي مكان أخر يجلس مقابل صورتها حزينا
-لم أقترب قط لتُبعدني عنها
- إبتعد قبل أن تغرق أكثر
- لماذا ؟
- جراحكما متشابهة يا وِسام لا يمكنك أن تعالجها ولا يمكنها أن تعالجك
و- ألست طبيبا مثلك؟ أنت تستطيع وأنا لا ؟
- تستطيع معالجة جروح جسدها ، إنما روحها لا ، أخبرتك جراحكما تتشابه عجزت أنت عن معالجة جروحك كيف ستعالجها ؟
-أخبرني كل شيء عنها، فقط أريد أن أعلم كيف أستطيع الإقتراب منها ، علّنا نكون علاج بعضنا . .
- أسف يا وِسام، الأفضل أن تجعلها هي تُخبرك قصتها.
- من السبب
-السبب في ماذا ؟
-جرحها
- مِثلك هي ، مع آختلاف التفاصيل ، إلى اللقاء يا صديقي وتوقف عن تصويرها واللحاق بها، قَدَر فتاة من النوع الملتزم نوعاً ما .
- العائلة....

توقف آدم أمام باب الغرفة ليجيب صديقه قائلا: قَدَر هربت من عائلتها ومدينتها منذ شهور طويلة .

غادر آدم وآقترب وِسام واضعا يده على صورتها يهمس
: قَدَر ، ترى ماذا فعلوا بك؟

على سريرها تحتضن دفتر مُذكراتها وشاردة .
:هل أنتِ بخير ؟
- سارة لا تزالين مسيقظة؟
- لم أستطع النوم ، هل يمكننا التحدث قليلا؟
-بالطبع
- أخبريني ما بكِ اليوم .
-لا أعلم ، فقط متعبة من كل شيء، أشعر كأنني في سِباق لا نهاية له ، فقط أركض نحو وإلى ومن اللاشيء، أشتاق ولا أعلم لمن ، قلبي يؤلمني ولا أعلم السبب ، أنا ضائعة يا سارة، ضائعة.
-جميعنا نمر بظروف قاسية، ظروف قد نراها النهاية التي ستقضي علينا، لكنها تمر ونتجاوزها بنجاح ، لعل الغد يأتي بما كنتِ تحلمين به يا قَدَر، لعل الغد يجبر بخاطرك.
- هل لي بسؤال.
- بالطبع
-ما هو الحب ؟
-هل وقعت في الحب؟
-لا لا فقط أردت أن أعرف .
-الحب جميل جدا إن وقعتِ فيه مع شخص يستحق، شخص يتقبلك كما أنتِ يرى عيوبك مميزات، يرى ندوبك جمال، يرى العالم من خلال عينيك، شخص تكونين أنتِ عالمه وحياته .
-لا يوجد شيء كهذا
- بل يوجد يا قَدَر فقط لم يحن وقتك بعد ولم يدخل الحب قلبك، لن يطرقه هو يدخل بدون آستئذان
-لن يحبني أحد ، أنا إمرأة بماضٍ أسود
- تجربة واحدة سيئة لا تعني أن الحياة توقفت، ستجدين شخصاً يُشبهكِ ، شخصا يكون تعويضا لكل ما مررتِ به.
- سأنام، تصبحين على خير سارة.
غطت رأسها باللحاف لتبقى سارة تناظرها بابتسامة وتقول:
إلحقي بقلبكِ يا قَدَر إحساس القلب دائما صادق ، لستِ عار كما تقولين أنتِ فتاة رائعة.

خرجت تاركة قدر تحتضن دفتر مذكراتها والرسالتين والأزهار لتردد:" أنا أسفة ، لأنني إمرأة مُطلقة عيب عليّ أن أُحِب أو أُحَب".

خلد الجميع للنوم قلب مُحتار وقلب يتألم لأجل طفولة و براءة ضاعت وقلب يرفض الحياة وقلب مُشفق على صغيرة لم ترى الحياة بعد لتصفعها وعلى رفيق وقع في عشق شخص محطم .

مضت أيام طويلة لم تذهب قَدَر إلى العيادة ولم تذهب إلى البحر أو المطعم
أيام كان هو كل يوم يأتي أملاً في رؤيتها
أيام آستطاعت سارة كشف هروب قدر من شيء لا تعرفه

قَدَر: حينما يقع المرء مرة يبقى خائفا من الوقوع طيلة حياته ، شيء ما بداخلي يخبرني أن علي الهروب منه، أعلم أنه لم يقل شيئا لكنني بارعة في قراءة ما وراء الحروف والملامح ، لا يمكن لشخص مثلي أن يبدأ من جديد ، لم تتعافى جروح الماضي بعد .

سارة: كل ما كنت أشك فيه كان صحيحا، قدر تهرب ، لم تغب يوما عن المطعم وذاك الغريب يأتي ليقف بالساعات أمام المطعم ، علمت من ماذا تهرب ، لكن السؤال هل يجب علي دعمها أم نصحها بأحقية المحاولة من جديد لربما يستطيع هذا الشخص إعادتها لما كانت عليه سابقا، جميعنا نتعافى بالحب والمحبة.

وِسام: لوهلة ظننت أن الشمس أشرقت في حياتي ، لأول مرة أحلم بأسرة وعائلة ، لكنها كانت مجرد سراب ، لما الهروب والإختفاء يا قَدَر لِما؟
- لن تستفيد شيئا من جلوسك هنا .
- متى أتيت؟
- لا يهم ، نظرة الحزن لا تليق بك .
- أنت صديقي أليس كذلك؟
-لن أخبرك شيئا يا وِسام ، لن أخبرك شيئا
-أريد فقط أن أعرف قصتها حتى أفهم سبب آختفائها، مضى أسبوع لم ألمحها فيه
-أسف يا صديقي
-دعني وحدي قليلا
- حسنا
نهض تاركا إياه في مواجهة الغروب ليقول :
قَدَر تعرضت لتجارب سيئة، على يد أهلها والمجتمع ، أتركها يا وِسام لن تكونا معا أبدا
- هذا شيء يخصني لوحدي .

ساعات مضت وحل الليل ، لم يتغير شيء فقط ذكرى هاجمت رأسه:

"أنت لست إبني، أنت مجرد لقيط أخذته من الشوارع هو ووالدته ، لست إبنا لي . صفعة قاسية نزلت على هذا المراهق الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة سنة ، ليأخذه رجل ويُغلق عليه في غرفة مظلمة ويتركه يصارع هواجسه بمفرده"

-هذا مكاني ، وتلك النظرة الأليمة نظرتي .
آلتفت للمتحدث وقلبه يقفز فرحاً
-قَدَر ، هل هذه أنتِ؟
- لا لست أنا ، هذا شبحي ، هل أنت مجنون ؟
- أسف ، فقط آستغربت قدومكِ في هذا الوقت ، أين آختفيتِ.؟
جلست بجانبه متأملة النجوم وقالت
-كنت في السجن
- السجن ؟!
-أقصد مسجونة في غرفتي ، أكبر خطأ قد يقترفه المرء بحق نفسه هو أن يدخل كلية الحقوق أو يدرس الحقوق
ضحك وقال :
- إذا ستكونين محامية في المستقبل، هذا شيء جيد إن دخلت السجن بسبب خطأ طبي تُنقذينني
- خطأ طبي ؟ أنت ما عملك ؟
-طبيب جرّاح، للأسف
-لما الأسف
- دخلت الطب مُجبرا ، كنت أحب الرسم
-لا عليك لا أحد يُحقق ما يريد ، كلنا نفعل أشياء لا تشبهنا ولا نرغب بها .
-كم عمركِ يا قَدَر؟
- على أبواب ختم الواحد وعشرون سنة
-لا تزالين صغيرة ، أنا عمري ثلاثة وثلاثون سنة
-أنت عجوز جدا
- حقا؟
-نعم
- هذه صراحة؟
- لا، وقاحة
آنخرطا في الضحك ليتوقف شاردا فيها
- ربك أمرك بغض البصر

-أسف ، لكن أول مرة أراكِ تضحكين
-وأنا كذلك
- أنتِ كذلك ماذا؟
- أول مرة أراني أضحك
- ماذا حدث لكِ ، رغم الضحك نظرة الحزن لم تختفي
- لم يحدث شيء
-قَدَر أنا ____
-ألا توجد رسالة جديدة ؟
رسالة؟
وزهرة أيضا
-أجل توجد ثلاث رسائل ، لكن الأزهار توجد واحدة
- لا بأس ، سأكتفي بواحدة
أخرج الرسائل من جيب سترته وزهرة بيضاء ثم قدمهم لها
أخذتهم لتنهض قائلة:
-سأرحل الآن ، ليلة سعيدة سيدي
- فقط وِسام، ليلة سعيدة قَدَر

ذهبت بابتسامة صادقة لتقول: أعلم يا الله أن هذا خطأ، لكنني لم أستطع المقاومة.

وِسام: لن أستسلم يا قدر ، أي كان ما مررتِ به سأفعل أي شيء للوصول إليك

وصلت قَدَر للمنزل لتدخل مباشرة لغرفتها شاكرة الله أن سارة لم تعد بعد، على السرير فتحت الرسالة الأولى لتقرأ
" لم أكن ممن يؤمنون بالوقوع في الحب من النظرة الأولى، لكنني ولأول مرة أسمح لقلبي بالسجود لأنثى، مجنون أنا ، ألحق بغريبة مجهولة من مكان لـِآخر لكنه القلب سيدتي دائما يجبرنا على اللحاق به"

ابتسمت لتقرأ الرسالة الثانية
"مضت ثلاثة أيام وساعتين وخمسة وعشرون دقيقة على أخر مرة رأيتك فيها ، لم أنتبه للوقت يوماً أول مرة أشعر أنه يمضي ببطئ قاتل، حتى الليل يرفض الانتهاء"

ابتسمت بألم لتقرأ الرسالة الأخيرة
"أفتقِدك كثيرا"

-وِسام
رددت إسمه ثم وضعت الرسائل في الكتاب وخلدت للنوم .

القمر مُكتمل في السماء وقلبين أحدها ينبض حبا والأخر ينبض خوفاً.
والقدر أعلم بما يخفيه لهم.

يوم جديد مجددا
الهاتف يرن وهي ترفض فتح الخط .
- قَدَر هاتفك يرن منذ ساعة ، ألا تزالين نائمة ؟
قَدَر، يا قَدَر ....
آتجهت لغرفتها وفتحت الباب لتجدها تقف أمام المِرآة وهاتفه مُلقى على السرير
- قَدَر هاتفك يرن
- سأخرج لدي موعد يا سارة أراكِ في المطعم .
خرجت وتركت سارة تمسك بالهاتف وتنظر لرقم غير مُسجل، لتفتح الخط وترد بهدوء
سارة: السلام عليكم؟
:_____
- مرحباً
صوت إمرأة متعب رد
: قَدَر؟
- لا أنا والدتها
: والدتها؟
- نعم ، هل هناك مشكلة ؟
: لا، لا توجد مشكلة، هل قَدَر بخير؟
- أظن أنني عرفت من أنتِ، قَدَر بخير لا تقلقِ لكن، لم تنسى بعد، أعتذر منكِ عليّ الذهاب، وداعاً سيدتي، والأفضل أن تتركِ قَدَر تنسى الماضي محاولة تواصلكِ معها ستؤذيها فقط.
: حسناً ، إهتمي بها أرجوكِ
- الأم دائما تضع أولادها في أعينها سيدتي، لا داعٍ لقلقكِ على ابنتي.
أغلقت سارة الخط وهي حزينة

سارة: أخاف أن تُسامحهم وتعود إليهم وتتركني، أعلم أن هذه أنانية لكنني لا أريدها أن تعود، ولن أسمح لها بالعودة .
أغلقت الهاتف وخرجت إلى المطعم .

في العيادة دخلت بآبتسامة حزينة لتقول
-صباح الخير
-صباح الخير قَدَر، كيف الحال ؟
- لا جديد ، هل لي بسؤال
-تفضلي
-لما كلما شعرت بالسعادة تتبخر
أشعر وكأنها كرة جليد كلما حاولت الإمساك بها ذابت بين يداي.
كلما حاولت تجاوز ما مضى يحدث شيء ليذكرني به.
كأنهم يراقبونني ، كلما شعروا بقلبي ينبض عادوا ليجعلوه يتوقف .
- ماذا حدث ؟
- البارحة أول ليلة أنامها مبتسمة مطمئنة ، مرتاحة، شعرت ليلة الأمس أنني بخير ولم أعد بحاجة لشيء نمت بدون كابوس أو ذكريات، ثم آستيقظت على آتصال أعادني لما مضى
- من يتصل بك
-المرأة التي أنجبتني
-تقصدين أمكِ؟
- أمي ، لم تعد كذلك، الأم التي تركتني في الغابة بين الذئاب ورحلت بدون وداع ليست أم ولا تستحق لقب أم، الأم التي شهدت إعدام ابنتها بدموع الفرح ليست أُم، هي لم تقف في وجه العائلة وهم يُغلقون علي غرفة في منزلها لأنني عار، صمتها ذبحني ، حتى القطة في الشارع تحارب كل من يحاول المساس بصغارها بكل قوتها، أمي لم تفعل شيئا ، اكتفت بالمشاهدة.
لما تتصل الآن؟
- أمكِ، طبيعي أن تشتاق لابنتها
الأُم تبقى أُم يا قَدَر
ق-والغفران صعب يا آدم
- اليوم سنكمل القصة ثم نرى طريقة للعلاج، ونطرد الماضي
-الماضي لا يرحل يا سيدي نحن فقط نتقبله نتعايش معه لكن النسيان مستحيل.
في لحظاتي الأخيرة في تلك الغابة لم أتعرض للتعذيب الجسدي أو لم أشعر به ، التعذيب النفسي كان هو الطاغي

لذلك اليوم أدركت أن المرء قد ينسى من تسبب له في ضربة تركت أثرا على جبينه وقد يسامح ، لكن لا يمكنه أبدا نسيان من قال له كلمة واستقرت كخِنجر مسموم في أعماق قلبه .
بعد تعرضي للإعتداء والضرب لم أستطِع إيجاد صوتي ، فقدت صوتي بصفة نهائية ، ثم في ليلة عاد ذاك الرجل أخبروه أنني لا أفعل شيئا وأنام طيلة الوقت وأنني حاولت التقرب من أخيه ، وصرخت بأمه وقمت بقص شعري وحرقته
-ماذا فعل لكِ؟
أغلقت قَدَر أعينها وآنكمشت على نفسها تحاول حماية نفسها من ذكرى ماضية تجسدت أمامها
- قَدَر، قَدَر هل تسمعينني؟ قَدَر
-أمسك بي من شعري وجذبني لوسط المنزل ثم حمل حبلا وأخذ يضربني على سائر جسدي، لم أصرخ لم أستطع الصراخ ، كانوا جميعهم يشاهدون ما يحدث لم يُنجدني أحد، جسدي النحيف لم يتحمل كل ما يحدث فآستسلمت لفقدان الوعي على الأقل لن أشعر بالألم .
ضلت قَدَر على حالتها وأثر الألم يَظهر على ملامحها ، ليقترب منها محاولاً جعلها تفتح عينيها
- قَدَر، إفتحي عينيك، لن يؤذيكِ أحد، قَدَر
وضع يده على كتفها لتصرخ بألم
- لا ، لا ، أرجوك لا يكفي
اعتلت الصدمة ملامحه، قَدَر تعيش في الماضي.
- قَدَر، هذا كابوس ، أنظري لا يوجد أحد ، قَدَر حاولي فتح عينيك ، قَدَر هل تسمعينني؟
قَدَر:_____
- قَدَر، أنظري لا يوجد شيء، لقد مضى ذاك ماضٍ يا قَدَر.
: ما الذي فعلته لها
- وِسام؟ كيف دخلت إلى هنا ؟ أخرج، لا يجب أن تراك أخرج
-ما بها قَدَر ، ما الذي فعلته لها
-قَدَر تحت تأثير الماضي ، لن تستجيب عقلها الباطني أعادها للماضي وهي تظن نفسها تتعرض للتعنيف، عليها أن تستيقظ فوراً، أرجوك غادر لا أريدها أن تراك .

لم يستمع له ليقترب منها ممسكا بيدها
-أخرج فوراً لا تلمسها ، فقط أخرج

- قَدَر، قَدَري إستيقظي يا فراشة الخريف، الماضي رحل لن يعود لن أسمح له بالعودة لن أسمح لأحد بأن يؤذيكِ، أنا بجانبك قَدَر، هيا علينا الذهاب للمطعم آشتقت لفنجان القهوة الذي تصنعينه وأريد كتاباً جديداً للعراب.
-ما تفعله لن يفيدنا
- قَدَري إستيقظي يا صغيرة ، معي رسالة جديدة وزهرة أيضا.
ضل آدم حائراً وخائفا لكن آنخفاض بكاء قدر وهدوء تشنجات جسدها إثر حديث وِسام جعلاه يطمئن ويخاف ردة فعلها
-وِسام، قَدَر هدأت ، غادر لا يجب أن تراك
-لن أتركها هنا
- لم أنتهي بعد من علاجها ، حتى تبدأ بداية جديدة عليها التخلص من الماضي ، أرجوك غادر سأخبرك كل شيء في المساء.
نظر لها طويلا ليترك يدها ويهمس بصوت منخفض : أنا هنا لن أسمح لهم بإيذائِك، أسف لأنني لمستكِ أعلم أن هذا سيزعجكِ ، أسف قَدري.
ثم نهض متجها ناحية الباب قائلا لصديقه: عليها أن تكون بخير
عاد آدم بنظره ليجدها تحاول فتح عينيها
-قَدَر، هل تسمعينني؟
فتحت عينيها وضلت تنظر للجدار الأبيض أمامها
-قَدَر
- أنا بخير ، لا أعلم ما الذي حدث لكن جسمي يؤلمني، يؤلمني جدا
-ستكونين بخير
- أسفة لا يمكنني أن أكمل ، جسدي يؤلمني وهذه الضربات تحرقني
-الضربات آختفت منذ زمن أنتِ بخير الآن لا تخشيْ شيئا
-آمل ذلك، هل كان أحد ما هنا يا سيدي؟
-أحد ما ؟ لا لم يأتِ أحد ، لماذا ؟
قَدَر: فقط شعرت بصوت أحدهم معي
- رُبما كان حلما أخرجكِ من الماضي
-ربما ، ألقاك في الجلسة القادمة
-بإذن الله تعالى
-السلام عليكم
-قَدَر " تشاء يا عبدي وأشاء فإذا رضيت بما أشاء أعطيتك ما تشاء"
- الحمدلله على كل حال

خرجت تجُرّ أديال الحزن والألم، جسد مُشوه وروح تائهة.

قَدَر: شعرت أنني هناك ، في ذاك المكان ، كنت أشعر بنزول تلك الضربات على جسدي حتى الآن أماكنها تؤلمني، كنت أعيش أسوء ذكريات الماضي
حتى جاء صوت ما، همسات شخص ما.

وصلت لمكانها المفضل لتجلس بألم باكية
يد تربت على كتفها صوت هادئ
:أغرقتِ البحر بدموعك سمعت أنه سينتقل من هذا المكان.
نظرت له بعينيها الدامية وابتسمت
-يا لك من سخيف
-ويا لكِ من ضعيفة
-لست ضعيفة
-دعيني أجلس ، البكاء ضعف
- ليس تماماً
-لما البكاء، ولما الألم مرسوم على ملامحك ، هل أنتِ بخير؟
- بخير فقط مشاكل في الدراسة
- الدراسة، حسنا لا بأس أثق بك ستنجحين

آلتزموا الصمت متأملين البحر لوقت طويل
ليقطعه قائلا:

وسام: كنت أعيش مع والدتي في غرفة على إحدى المنازل القديمة، كانت أمي عاملة نظافة، وفي إحدى الليالي أتت وقالت ستأخذني لوالدي هي لم تعد ترغب بي وأنها ستتزوج والذي سيتزوجها لا يريد إبنها، صُدمت هل لي أب ولا أعرفه
قالت أنني إبن غير شرعي، وأنني نتيجة خطأ مراهقة وطيش لذلك ستأخذني إلى أبي، كُنت حينها في الثالثة عشر من عمري
أخذتني لمنزل كبير ثم دخلت وجدت رجلا في أواخر الأربعين من عمره يجلس وبجانبه إمرأة علمت أنها زوجته
قلت مع نفسي وأخيرا سيكون لي عائلة ، أصبح لدي أب
اقتربت منه لأحضنه لكنه أبعدني بعنف قائلا: ستلوث ملابسي
-وِسام

- لا تُقاطعيني
في تلك اللحظة سمعت صوت إنكسار شيء ما بداخلي، شيء عجزت عن جبره إلى اليوم
أمي رحلت بدون حتى أن تودعني وأبي كان يذلني كلما وقع نظره عليّ، علمت أن زوجته لا تنجب وأنني إبنه الوحيد على الورق لم يعترف أنني إبنه الشرعي أمام الناس، كان يخبر الجميع أنه وجدني في الشارع وتبناني هو وزوجته.
إسمي في المنزل اللقيط لم يناديني يوما باسمي الحقيقي، كان دائما يضربني يحبسني في غرفة مظلمة صادقت فيها الفئران والصراصير.
أدخلني مدرسة وحينما أشفقت عليّ زوجته وحزنت لمعاملته لي وتعذيبي أخبرته أنها لم تعد ترغب بوجودي في البيت وأن عليه إرسالي لمدرسة داخلية ، اقتنع برأيها وأرسلني، زارتني مرة بدون علمه وقالت فعلت ذلك حتى أنقذك منه وتستطيع ضمان مستقبلك أول مرة أجرب حضن دافئ قالت ربك حرمني من الأولاد لذلك أريدك أن تكون إبنا لي سأفعل أي شيء حتى تكون بخير.
حينها قلت مع نفسي إن درست جيدا أبي سيفتخر بي وسيغير معاملته لي .
لكن لم يتغير شيء، كنت أحب الرسم والتصميم وعندما نجحت في البكالوريا ذهبت له ركضا أملا في أن يفرح لكنه قال جيد على الأقل نجحت بمعدل مقبول رغم أنني كنت الأول في المؤسسة
أخبرته أنني أريد دخول كلية الفنون الجميلة،لكنه سخر مني قائلا "منذ متى أصبح للقيط رأي"
فأدخلني كلية الطب، كان عمري 24سنة حينما تخرجت منها بتفوق ظنا مني أن هذا سيجعله يعاملني بلطف
لم أعد أرغب بحضنه أردت فقط أن أُعامل بلطف وأسمع منه كلمة جميلة
حينما أتيته مبتسما قال " عليك أن تقبل قدمي الآن جعلت من لقيط طبيبا" .
حينها ابتسمت وقلت ولأول وأخر مرة كلمة أبي، قلت له " لا بأس يا أبي، لكن المشكلة أن الأب فقط من يستحق أن تقبل يده وقدمه، وأنت لست كذلك "
حاول ضربي لكن لم أسمح له، لن يضربني هذه المرة
وضعت مبلغا كبيرا أمامه وقلت له هذا كل ما خسرته لأجلي هذه السنين الماضية وشكرا لأنك جعلت من لقيط طبيبا.
اتجهت ناحية زوجته قبلت رأسها وغادرت ذاك المنزل ولم أدخله لليوم.
-ألا يزال على قيد الحياة؟
- نعم، زوجته توفيت منذ ثلاث سنوات وهو لا يزال على قيد الحياة، أما المرأة التي أنجبتني وألقت بي بين براثنه لم أجدها ولم تعد.

-أين هو، ألا تزوره
- في دار عجزة، ولا أزوره.
صُدمت من كل ما تسمعه
- لماذا؟
- لأنني لقيط، ولأن أثر تعذيبه لي لم يختفي بعد .
-لكنه والدك
- أخبرتكِ أنا لقيط، هو بنفسه قال هذا ، أنت مجرد لقيط
-لما لا تختفي ندوب العائلة
- لأن الضربة التي يكون مصدرها من ظننته منبع الأمان تستقر بالقلب وكلما بحثت عن العائلة يُفتح الجرح من جديد.
-من الضحية هنا ؟
- نحن ، نحن الضحايا، كل شخص جلس على سرير في مصحة للطب النفسي هو ضحية.
-لما أخبرتني قصتك؟
-لا أعلم، الحقيقة في وقت مضى كنت مثلك لا أغادر المسجد لا أفوت الصلاة أقرأ القرآن الكريم وأحفظه واليوم ضائع تائه، أخبرتك قصتي محاولة مني إيجاد مبرر أبعدني عن الله
-واليوم
- اليوم نسيت اتجاه القبلة أين، مررت بلحظات كنت أقول فيها لنفسي أن الله لا يحبني
-عُد
-وهل يقبلني، كُلي خطايا
قَدَر: إن وصلت ذنوبك عنان السماء، يغفرها ويقبلك
نظر لها بابتسامة ليقول
: ساحاول
-أتوجد رسالة اليوم ؟
-نعم توجد أيتها المجنونة
- لماذا مجنونة؟
-لأنك غيرتِ الموضوع ودخلتِ موضوعا أخر ولم تعلقي، لم تسألي لما لا أُصلي أو لما لم أعد أدخل المسجد
- إذا كان ربك يريد سترك لماذا يجب عليّ أنا أن أستفسر ، وبما أنك اعترفت بخطئك هذا فحتما أنت تخشى ربك وتريد العودة له وستعود ، والآن أين الرسالة ؟

-موجودة لكن قبلها أخبريني لما كل هذا البكاء ؟
-ذكرى قديمة زارتني ، أعطني الرسالة
-عِديني أن تخبريني يوما
-يوماً ما
- تفضلي هذه الرسالة والوردة
وضعهم بينهما لتحملهم هي وتنهض
- قَدَر، إن لم أرسم الضحكة على ملامحك لن أرسم الحزن ثقي بذلك..
-إبدأ من اليوم يا وِسام
- أبدأ ماذا؟
- الصّلاة ، أراك لاحقا
-دمتِ بخير قَدَر
-قبل ذهابي أريد أن أقول لك كِلانا يحمل جرحاً في قلبه عنوانه العائلة.
- سأحمل لقب لقيط طيلة حياتي ، أليس كذلك؟
- لكنك لست كذلك لست مجبرا على حمله.
- إذهبِ الآن
- إلى اللقاء

غادرت قَدَر وجلس هو في مكانه شارداً بما هو قادم

وسام: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
دمعة ندم عانقت خدّه، ليبتسم بحزن قائلا:
لن أبتعد مجددا يا الله فقط لا تؤلم قلبي بها، إجعلها بخير يا الله

: ألهذه الدرجة أحببتها؟
-منذ متى وأنت هنا ؟
- منذ جملة أنت لست لقيط لست مجبرا على حمله، ظننتك نسيت وتجاوزت الموضوع ولن تخبر أحد عنه
- قَدَر ليست أحد ، دعك من هذا الموضوع ، وأخبرني لما كانت في تلك الحالة
-كلاكما تحملان ألقاب ، ألقاب ترفضان تركها ، النصيحة التي قدمتها لك قَدَر هي الأجدر بها
- لم أفهم ، هل قَدَر مثلي؟

-لا ، قَدَر فتاة تعرضت للعنف على يد رجل وعائلته ثم بعد عودتها لعائلتها أظنها هربت ، لم أصل لهذا الجزء معها بعد
- تحدث بوضوح، هربت لماذا ، لم أفهم شيئا
-وسام قَدَر إمرأة مُطلقة

الصدمة كانت حليفة الموقف عم السكون المكان ليسأل بخفوت :
مُطلقة؟
-نعم أجبرها أهلها على الزواج ثم تعرضت لأحداث سيئة حطمتها، قصتها حزينة أول مرة أبكي لسماع قصة أحد مرضاي
- مُطلقة
- ولأنها مطلقة ، ستتوقف عن اللحاق بها أليس كذلك؟
- أريد معرفة القصة كاملة
- لا أستطيع إخبارك شيء ثم أنني لم أنتهي بعد واليوم كانت تتحدث عن زوجها الذي كان يعتدي عليها بالضرب أمام عائلته
-دعني وحدي
-وِسام قَدَر فتاة تستحق أن تعيش حياة جميلة ، لا ذنب لها في كل ما حدث ولأنها مُطلقة وتحمل لقب مُطلقة أنصحك بتركها تبحث عمن يستحقها
-لا أحد يستحقها غيري، كل ما حدث معها لا يهمني أريد معرفة قصتها حتى أعلم كيف يجب عليّ التعامل معها .
-لا تخبرها شيء إلى اللقاء يا صديقي.

مُخطئة قَدَر حينما قالت أن الحياة بريئة، هي البريئة وليست الحياة وربما لأن قلبها نقي ترى كل شيء مثلها
ماذا فعلوا بِك يا قَدَر؟

في غرفتها دخلت بمشاعر مختلطة
ما بين الحزن والذكريات السيئة هناك نور خافت يحاول الظهور من وراء السواد، هل هذا ما يسمى العوض ؟
عوض ماذا يا قَدَر؟
أنسيتِ أنكِ مُطلّقة.
فتحت الرسالة الموجودة بين يديها لتقرأ بصوت هادئ
"دموع عينيك التي تظنينها تمر عبر خديك لتسقط أرضا كانت كل مرة تسقط كالجمر على قلبي، حتى دموعكِ تحرقني تماما كما تبعثرني ابتسامتكِ، لست بارعاً في الكتابة، لكنني بارع في رسم الحياة على ملامح المتعبين ، جربي لن تندمي هذه يدي رغم الخدوش ترغب بكِ"

في حياتنا دائما وللأسف نلتقي الشخص المناسب بعدما نفقد ذاتنا في تجارب سابقة أخذت منا كل شيء حتى الثقة بأنفسنا .

وقفت أمام المرآة لتزيل الحجاب الذي لا يفارق رأسها
شعر مجعد قصير باللون البني وملامح تبدو بدون حجاب طفلة في الخامسة عشر
من المؤسف حقاً أن تموت زهرة شبابك قبل حتى أن تُزهر
اليوم أنا مجرد صّبار حزين في عمق الصحراء يبكي ألماً ولا أحد يقترب .

غطت شعرها ثم ألقت بنفسها على السرير لتردد:
كُن منصفا يا قَدَري لم أعد أملك طاقة للكفاح

وفي غرفته يجلس أمام صورها حزيناً :
أنتِ مُطلقة، لكنكِ صغيرة جداً، صغيرة على حمل هذا اللقب الكبير.
ظننت أنني سأفقدك اليوم، رؤيتك غائبة عن الوعي كانت كفيلة لتجعلني أدرك أن مكانكِ بقلبي أكبر من أن ينزعكِ أحد منه
سأعالج ما مضى يا قَدَري.

مضت ليلة أخرى تلتها ليالي ، انتظرته كثيرا لم يأتي.

تعيش سارة موجة خوف تهاجمها من حين لأخر بسبب اتصال والدة قَدَر وخوفها من ترك الأخيرة لها

ينتظر آدم مجيء قَدَر بفارغ الصبر الفضول والرغبة في معرفة كل ما تخفيه يحرمانه النوم

أما وِسام قضى أيامه في منزله لا يفارق الصور والخوف من الرفض يحتله بالكامل.

الهاتف يرن بجانه ليجده صديقه
-مرحبا آدم
-أين آختفيت
- فقط المنزل
-ما رأيك أن نلتقي
-حسنا، أنت في العيادة؟
-نعم
- أنا قادم

حمل أشيائه وألقى نظرة أخيرة على الصورة ليُردد بحزن:
سأعرف كل شيء سأعالج كل ما كسروه بروحك، أعدك

وصل للعيادة ليدخل مكتب صديقه بصمت قاتل
-هل أنت بخير ؟
-لم أراها مُنذ ذاك اليوم، لم أستطع الخروج من المنزل، أخاف رؤيتها ، لن أتحكم بنفسي .
-احذر أن تشعرها أنك تعرف كل شيء
: معذرة سيد آدم، الآنسة قَدَر في الخارج هل أُدخلها؟
آدم/وسام: ماذا ؟
: قَدَر في الخارج

-لا يجب أن تراك هنا، أدخل إلى الحمام بسرعة .
- أدخليها
: حسناً سيدي

بعد دقائق دخلت قَدَر والحزن يُغطي ملامحها
- قَدَر...! ما بك؟
- لا شيء
-هل ستكملين القصة ؟
- سأكملها، حتى أرحل عن هذا المكان وهذه المدينة
-إلى أين؟
-نحو المجهول تماماً كالمرة الأولى
- أكملي القصة، لن أسمح لكِ بالرحيل
- حينما هربت أول مرة إلى هذه المدينة ظننت أنني سأتخلص من الوحدة ، لكن اليوم أدركت أنني لم أتخلص من شيء .
- قَدَر أكملي قصتك
- حسنا
بعدما ضربني وفقدت الوعي، استيقظت في تلك الغرفة لا أعلم كيف وصلت حاولت النهوض لكنني صرخت بشدة، صراخي كان أشبه بصراخ امرأة فتحوا بطنها بدون تخدير حتى يستخرجوا طفلاً من جوفها
كل ما كنت أشعر به هو ألم رهيب بجانبي الأيسر ألم مُختلف أول مرة أشعر به، لم يُبالي لي أحد، حتى ذاك العجوز الذي تزوجني قال دعوها تتألم حتى تتعلم من أخطائها، كان ألمي الجسدي ولأول مرة يتغلب على ألمي النفسي.
أتعلم يا سيدي قضيت أياما كان طعامي الوحيد فيها بيضة مقلية أسرقها من عش إحدى الدجاجات لأطبخها خفية وأكلها لوحدي في يومين .
قضيت أسابيع أتألم من نفس المكان والمرض بات أثره واضحا على ملامحي .
حينها فقط اعتلاهم الخوف ليتصلوا بمن أطلقوا عليه زوجي ويخبرهم أن يرسلوني إلى والدي
بعد سنتين سأعود لمنزل أبي ، سأعود جثة هامدة
نفذ أخاه ما طُلب منه لكنه لم يوصلني إلى المنزل بل أخذني إلى مدينة قريبة منهم وقال إذهبِ إلى والدك يعالجك و عودي ثم تركني أجول الشوراع ليلا لوحدي مريضة ، جاءت الحافلة التي ستقلني إلى مدينة أبي لكنني لا أملك مالا

توسلت السائق كثيرا بعيناي وكتبت له في ورقة عجزت عن إخراج كلمة من فمي توسلته أن يأخذني وبمجرد وصولي سأطلب من أمي أن تأتي لتدفع له
أشفق علي فوافق وذهبت لتكون تلك المرة الأخيرة التي سأراهم فيها وتبدأ رحلة جديدة وألم جديد.
- ماذا حدث بعدما وصلتِ إلى مدينتك
-وصلت بعد ساعات طويلة لأتجه بضعف شديد إلى منزل والدي
المنزل الذي ظننت أنه سيكون الملجأ الآمن لكنه كان سجناً
أحيانا يا سيدي ما نراه نحن نجاة قد يكون الهاوية التي اتجهنا لها ونحن غافلون.
وصلت الحي الذي يقطنه أبي ليُصدم الجميع ، يتهامسون ويشيرون بأصابعهم نحوي
خرجت من هنا فتاة تنبض بالحياة وعدت شبه جثة
طرقت الباب وانتظرت أن يفتح، أسمع صوت خطوات أمي، قلبي يكاد يخرج من مكانه، اشتقت لها كثيرا، فتحت الباب ونظرت لي بإستغراب شديد، ابتسمت ورددت داخلي " ماما"، كل ما اتذكره حينها أنها قالت إسمي وأنا أسقط منهارة على الأرض لم يحتضني أحد ، وحدها الأرض التي كانت تفتح ذراعيها لتحتضنني كل مرة، كانت أحن علي من الجميع.

-أكملي، ماذا حدث؟
- استيقظت بعد أسبوعين في غرفة بيضاء في المشفى ، أخبروني أنني احتجت إلى نقل دم لأنني كنت أعاني من فقر دم حاد بسبب سوء التغذية إضافة إلى تضرر كبير في الكلى، جاؤوا بطبيب نفسي قال لهم أنني فقدت صوتي إثر صدمة تعرضت لها حتى أن الطبيب قال سيخبر الشرطة عن قضيتي قال يحتمل أنها كانت مخطوفة اثر التعذيب الواضح على جسدي ، لكن أهلي رفضوا.
عدت إلى المنزل و لا أتحرك بدون أدوية
وبعد ثلاث أشهر وصلتني دعوة طلاق ، قال فيها أنه لا يريدني وأنه يستحي أن يقول للناس أنني زوجته
تجاهل أهلي السؤال عن أسباب الضربات على جسدي، لم تنتبه أمي لشعري، أخافتهم كلمة مطلقة فأصبح الجميع يحاول معي لأعود وأن المرأة يجب أن تستحمل وتلك الخرافات التي لا أساس لها
-ألم يكترثوا لحالتك؟

- لا أحد اهتم ، كنت أحارب كوابيسي لوحدي ، حاولوا كثيرا لكن تم الطلاق وحملت لقب مطلقة وأنا في السن العشرين من عمري، أصبحت مطلقة في سن يفترض أنه السن الذي يحقق فيه المرء نجاحه .
- متى هربتِ من بيت أهلك؟
-بعدما تعبت
أصبح المنزل سِجنا لي وأصبحت أنا مجرمة فقط لأنني مطلقة.
ثم اتحدوا على عدم جعلي أخرج من المنزل وأنني سأجلب العار ، ويجب البحث عمن يستُرني قبل الفضيحة
-أية فضيحة ؟
- لا أعلم
لم ينتبه أحدا لحالتي ، لخوفي لنوباتِ المستمرة لاستيقاظِي كل ليلة أصرخ ، لم ينتبهوا لنوبات الرعب التي كنت أعيشها كلما ضرب الرعد في السماء
لم يهتم أحد، حاولت أن أنتحر كثيرا
لأجل ماذا سأعيش؟
خسرت كل شيء
لم يبقى لي شيء
لكنني في كل مرة أحاول أتذكر الله وأتراجع
خسرت الدنيا لما سأخسر الآخرة
قلت لعلّ بعد موتي يكون جزائي خيرا من جزاء الدنيا
لم أكن أخرج من المنزل، أو بالأحرى لم يسمح لي أحد بالخروج ، أصبح الجميع عدوا لي وأصبحت أنا عار
-أكملي
-تعبت ، متعبة من نفسي ومن الحديث
- لماذا تريدين الهرب مجدداً؟
- لا أعلم، هل يمكنني الذهاب ؟
- بالطبع قَدَر لكن عليكِ المجيء في أقرب فرصة لنُغلق صفحة الماضي ونبدأ في تلقي العلاج
-لست بحاجة للعلاج، أنا أعرف كيف أعالج نفسي بنفسي
-سنرى لاحقاً
- إلى اللقاء
-إنتبهي لنفسك

خرجت بهدوء وقلبها يتألم :
لماذا أنتِ حزينة؟
في كل الأحوال كان سيختفي عندما يعلم أنك إمرأة مُطلقة
لما تشعرين بالألم وكأنه لم يكن عابرا
أظننتِ أن صدمات العائلة سيعالجها غريب ؟
يا لكِ من غبية يا قَدَر

مضت في طريقها تلوم نفسها على أفكارها وحماقتها
بينما يقف هو في شرفة العيادة يراقبها بألم حتى اختفت عن أنظاره
- ماذا الآن
- أخبرني القصة من البداية
- لا أستطيع
-إذا سأعرف بمفردي

خرج تاركا المكان مُتجها حيث سيجدها

على البحر وفي مكانها المعتاد تجلس مواجهة الشمس والموج

قَدَر: شمس الشتاء كاذبة تماما كالبشر والعائلة والأصدقاء والجميع .
والغباء حقا هو أن تأمل أن يُحبك أحدهم وأنت نفسك لا تحب نفسك.
حتى من شعرت لوهلة أنه منبع أمان اختفى ، يركض مني الجميع وكأنني قطار مُحترق ، الجميع يهاب الإقتراب وكأنني صبار سيؤلمهم بشوكه .
حتى هو رحل ، تماما كما يرحل الجميع

:من هذا الذي رحل؟
ألن تتوقفي عن التفكير بصوت مرتفع سيظن الجميع أنكِ مجنونة.

لم تلتفت له خوفا من كشف الإبتسامة التي ارتسمت على ملامحها لتقول
-لماذا عدت
-أنا لم أرحل قط حتى أعود
- ظننتك مللت من كتابة الرسائل
- كنت تائها أبحث عن طريق للعودة وطريق للوصول

-وهل وجدت طريقا
-وجدت طريق العودة ، ولم أجد بعد طريق الوصول
-هل يمكنني الجلوس ؟
- تفضل
- هل أنتِ بخير ؟
- بخير جدا
-ليس واضحا
- لا يهم، لا أريد الحديث
- حسنا لنصمت

-لماذا اختفيت ؟
وِسام:_____
- أنا أسألك
-ألم تقولي لا تريدين الحديث؟
على كل حال، كنت أحاول استيعاب بعض الأمور إضافة إلى خلوات طويلة مع ربك والبحث عن بعض الأجوبة
-سأذهب قريبا من هذه المدينة.
-لن تذهبي
- لماذا
- كفاكِ هروبا قَدَر، كفاكِ وقوفا على أطلال الماضي، جربي أن تواجهي مرة بدلا من الهرب من مكان لمكان ، لن يتعافى شيء بالهرب
- لا أهرب
- على من تكذبين؟ عليّ أم على نفسك ؟
- لا أكذب على أحد
- حسنا أجيبي على سؤالي
ما سبب تلك الضربة على جبينك؟
- وقعت على وجهي وأنا صغيرة
-توقعت
-توقعت ماذا؟
-الكذب
-قصتها طويلة
-كل الوقت لكِ

-لا رغبة لي في الحديث
-إذا استمرّيتِ في رفض قول الوداع للأشياء التي رحلت قد تنسي أنك لازلت على قيد الحياة.
صغيرة ما زلت يا قَدَر الماضي مضى والحاضر أحق بالعيش، دعكِ مما مضى، مضى ولن يعود
-أحاول
- ما دمتِ تحاولين لماذا تريدين الهرب مجددا؟
-لا شيء هنا أضل لأجله
-حقا؟
-أجل لا شيء
-ماذا عن المطعم وصاحبة المطعم هي تحبك جدا، ماذا عن أطفال الميتم وأزهار الحديقة، وأنا
-أنت ؟
-ألست صديقا جيدا؟
- لست صديقي ، ثم كيف علمت بقصة الميتم ؟
- راقبتك
- لا أحب التعود على أحد ، الجميع سيرحل حتى أنت
- من سيرغمني على الرحيل؟
-الماضي
-ما هو
-مُطلقة
- ما بها ومن هي ؟
- أنا ، أنا إمرأة مطلقة
- ماذا بعد
-سأذهب ، إلى اللقاء
- الماضي لن يعود يا قَدَر، لا أعرف شيئا عنكِ لكنني
-إلى اللقاء سيد وِسام
:لكنني أحببتك

آبتعدت كثيرا ليجلس هو مكانه معاتبا الحياة والظروف

الصدفة أحيانا تكون أجمل من ألف ميعاد

هذا ما يقوله الجميع
في مقهى جمعهم القدر
وفي البحر بادلها أوجاعه
وللقدر رأي أخر غدا

مضى يوم أخر أرغمت نفسها على البقاء في غرفتها هربا من الجميع
لكن ما تهرب منه يرفض الرحيل عن تفكيرها

- قَدَر، ما بك هذه الأيام؟
-فقط إرهاق الدراسة والإمتحانات
-أنا لست غبية يا قَدَر لكنني سأصمت إلى أن تأتِ أنتِ وتخبريني بمفردك، واتمنى ألا تجبريني على استجوابك
- أنا بخير سارة
-هيا معي إلى المطعم
-سأدرس
-حسنا قَدَر، إلى اللقاء

خرجت متجهة إلى مطعمها، تاركة قَدَر شاردة في كل ما يحدث معها

مصلوبة أنا بين ماضٍ بائس ومستقبل مجهول وحاضر تائه

وصلت سارة لتجد ضيفا في انتظارها
-أنت ، عدت مجددا ؟
على كل حال لا يوجد من يجهز لك قهوتك اليوم والمكتبة أمامك خذ ما تريد
: أريد التحدث معك
- عن ماذا بالضبط ؟
: قَدَر
- سيد ....
:وسام
- سيد وسام لا أظن أنه يحق لك أن تسأل عن ابنتي
-ليست ابنتك
-لا يهم الأم ليست هي التي تنجب دائما، حتى تلك التي تهتم وتسهر وتخاف تصبح أما، لم أحملها ببطني لكنني حملتها بقلبي
-أريد أن أعرف قصتها، من هي من أين أتت وما سبب طلاقها
- طلاقها ؟ ومن أخبرك أنها مطلقة؟
-هي أخبرتني ، لكنها لم تخبرني شيء غير كلمة مطلقة

-شرفتنا سيد وسام ، انصحك بالابتعاد عن ابنتي ، لست مستعدة لخسارتها بعدما وجدتها، وداعاً
- لكنها تنوي الرحيل
-ماذا ؟
- أقصد قَدَر تنوي الرحيل هي أخبرتني أنها ستذهب لمكان أخر بعيد عن هذا المكان أحتاج مساعدتك
- إذا ما كنت أخاف حدوثه سيحدث
-لن يحدث إن جلستِ وسردتِ القصة من البداية إلى النهاية
- لماذا أنت مهتم بها
-لأنها أعادتني للطريق الصحيح لأنها شمس حياتي بدونها أنا كائن مُظلم
- هل تريد قهوة ؟
- بدون سكر

-تفضلي القهوة هنا؛ بدون خوف أخبريني قصتها
- قَدَر كانت في عمر السابعة عشر سنة كانت في السنة الأخيرة في الثانوية العامة حياتها كانت بخير ولديها أحلام حتى جائتها سيدة من أقربائها بعريس وأجبرها أهلها على الزواج وترك دراستها ومن هناك انقلبت حياتها رأسا على عقب.....

في غرفتها كانت تقرأ تلك الرسائل مجددا

قَدَر: لم يكن هذا اللقاء ضمن ما خططت له
ترى هل يحق لي أن أشعر بما أشعر به الآن؟
تعلمين أنكِ مجرد شخص، شخص ماذا ؟

لم تجد مفردا يعبر عن حالتها لتضع سماعات الهاتف في أذنها وتخرج هربا من أفكارها

صوت سعد الغامدي هو الصوت الوحيد الذي يزرع الاطمئنان بقلبي كلما قرأ أية قرآنية أشعر أنها تمر على جروحي كنسمات الفجر الهادئة، كان القرآن دواء لكل داء وكنت عليه غافلة

ساقتها أقدامها نحو مكانها المفضل لتجلس بهدوء وعقل شارد .

في المقهى
كان يضع يده على وجهه وهي تجلس ساكنة بجانبه ودمعة يتيمة عالقة عالى خدها
-لقد مرت بتجارب لن يستطيع أحد تحملها ، أستغرب كيف ما زالت تؤمن أن الغد جميل وأن العوض عظيم
مرة حاولت أن أضع نفسي مكانها فعجزت عن التخيل
كيف لفتاة في السابعة عشر سنة أن تتعرض لكل هذا الأذى، يستطيع المرء تحمل كل شيء إلا الاغتصاب والغدر وطعنات الأهل
جسدها مُشوه، شعرها يرفض العودة لطوله الطبيعي لا زالت تخشى الرعد والمطر
استغربت عندما قلت أنها أخبرتك بموضوع طلاقها ، حتى أنني أستغرب كيف لفتاة تخشى اقتراب ذكر منها أن تعتبر واحد من جنسهم صديقا
زوجي عندما قابلها كانت خائفة جدا منه
وعندما عرضتها على الطبيب النفسي كنت أذهب معها وبعد ذلك أصبحت تتصل بي قبل دخولها وتترك الاتصال مفتوحا
ذاك الكرسي على البحر منزلها الأول هذا ما تقوله هناك وجدتها
- ألم يتصلوا بها أو حتى حاولوا معرفة مكانها ؟
- تتصل أمها لكن قَدَر تفتح الخط وتصمت وأحيانا أخرى تغلق الهاتف أو تتركه يرن
- لا تخبريها أنني كنت هنا أو أنك قلتِ كل شيء عنها
وداعاً سيدتي
- سيد وِسام ، قَدَر ابنتي ،أنا أمها لم أنجبها لكنني أنقذتها، اعتدوا عليها وزرعوا الخوف بقلبها وروحها ورسخوا كلمة عار في عقلها لذلك تظن نفسها مجرد عار ، لكنها شخص رائع رغم كل ما مرت به تملك قلب طفل نقي لا يعرف الحقد، لا أريدها أن تهرب وتتركني
-سأصلح كل شيء أعدكِ
-دمت بخير يا رب

خرج بقلب أدماه الوجع وعقل لا يستوعب كل ما مرت به تلك الصغيرة، وكلمات سارة تتردد داخل رأسه " عنفوها-جسدها مشوه-تعرضت للاغتصاب-حرقوا شعرها-سجنها أهلها- فقدت صوتها..."
- ماذا أفعل يا الله ماذا أفعل ؟
لما يجب علينا أن نتألم دائما بسبب أخطاء الأخرين؟

لما ندفع ثمن أفكار المجتمع والعائلة التافهة؟
كيف يمكن للأهل أن يسلموا ابنتهم إلى الجحيم بأيديهم

الله أكبر الله أكبر

صوت الأذان، أذان العصر
أدار سيارته بحثا عن مسجد ما
وبخطا ثقيلة ووجه خجول دخل ليتوضأ ويأخذ الصف الأول خلف الإمام
أنهى صلاته وجلس مكانه حزينا
: عليك بقيام الليل
- ماذا ؟
: منذ ساعة وأنت تجلس هنا تائها شاردا لذلك قلت لك عليك بقيام الليل ينفعك ويهدي سرك
-لا أعلم أنا تائب جديد ، لا زلت ضائعا ولا أعلم هل تقبل الله توبتي
: لا عليك يا ولدي، الله أحن على قلوبنا منا، صل قيام الليل وستختفي كل الاحزان
-هل الحب حرام يا سيدي ؟
: ليس حرام فقط مجتمعنا هو الذي حرمه
الحب يا ولدي فرض من فروض الإسلام نحب الله ورسوله وكتابه وصحابته وأهل بيته وكل من أوصل لنا هذا الدين
- وهل حرام أن يحب رجل إمرأة
: ليس حراما إن أتى المنزل من بابه وغض بصره واشتهى الحلال
الرجل إذا أحب فلا طريق له إلا الزواج
-وهل حب فتاة مطلقة والرغبة في الزواج بها حرام
: يا بني أنت تجهل الكثير من الأمور في دينك، لربما اتبعت المجتمع الذي يقول نتبع ما وجدنا عليه أبائنا
لقد تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام المطلقة والأرملة والعازبة وكان لنا في الرسول إسوة حسنة
ليست كل مطلقة امرأة سيئة
وليس الطلاق نهاية حياة المرأة
لربما تكون هي الزوجة الصالحة
-لما حرام علي لمسها ؟
: "لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له"

-هي تتألم بسبب ماضيها وانا عاجز عن فعل شيء لأجلها
: ما دمت تصلي لربك لأجلها ستكون بخير
فقط لا تدخل البيت من النافذة
الدخول من الباب معززا مكرما خير لك من دخوله كاللصوص والخروج منه بفضيحة
وما ألم الدنيا يا بني إلا امتحان الله لصبر عبده ، توكل على ربك وعلى الله فليتوكل المؤمنون
-ونعم بالله
: سأغلق المسجد إلى حين صلاة المغرب ، هل ستبقى هنا ؟
-لا سأذهب
:في أمان الله ورعايته يا بني
- وداعاً

على ذاك الكرسي الذي كان يوما سريرا لها تجلس متأملة توجه الشمس نحو الغروب وصوت القرأن في أذنها
- إلى متى ستضل واقفا ؟
-ظننتك لم تنتبهي
- اجلس
- ابتعدي قليلا
- ما الأحوال
- أنظري إلي
- ربك أمرك بغض البصر
وسام: حتى جلوسنا هنا معا لا يجوز يا أنسة
- سأذهب إذا
- لدي ما أقوله
-تفضل
-أخبريني قصتك كاملة
-يوما ما
- مجددا يوماً ما؟
حسنا أين منزل والدك؟
- لا أملك منزلا ولا حتى عائلة، هذا الكرسي منزلي هنا ولدت
- قَدَر لا أعلم ماذا حدث بالضبط لكن ، الأب والأم لا شيء يعوضهم
- حسنا لماذا لم تأخذ والدك من دار العجزة؟
- هو يقول أنني لقيط ، أي أنا لا عائلة لي
- وهم يقولون أنني مطلقة وعار عليهم لذلك لا عائلة لي
لا تدخل معي هذا الجدال ستخسر في النهاية

التزما الصمت وراقبا الغروب
كلاهما بماضي لا يرحم
كلاهما جرحهما لم يلتئم
لكنها الحياة دائما تضع امامنا مفاجئات
بصوت واحد سألا:
قَدَر/ وسام : هل كلمة لقيط تجرح لدرجة تجعلك تترك والدك في دار العجزة/ هل كلمة عار على العائلة تجعلك تنسي أهلك ؟
-أنا سألت أولا

- لم أترك أبي في دار العجزة تركت الشخص الذي قضى حياته بأكملها يناديني باللقيط، لو كان أبي حقا لما نسى اسمي وغيره إلى لقيط .
-لم أنساهم، هم نسوني سنتين لم يتصلوا ، لم يحاولوا رؤيتي وعندما عدت سجنوني خوفا من العار لم يهتموا لتشوهات جسدي حتى، وجدت الحب والدفئ في منزل غريبة عني ولم أجده في منزل أبي
كان الغريب أحن علي من القريب
لم تحتضني أمي حينما كنت أستيقظ فزعة كل ليلة بينما سارة لم تكن تترك غرفتي حتى
لم تحاول أمي إخفاء تشوهات جسدي بينما سارة لم تترك علاجا ولم تستعمله سارة أحق بأن تكون كل عائلتي
-لماذا نعجز عن النسيان؟
-لأن الصدمات حينما تأتينا ممن ظننا أنهم الملاذ الآمن تترك أثرا لا يزول .
- سيزول مع الأيام
- سيبقى الأثر
- تأخر الوقت ، هل ستذهبين إلى المطعم ؟
- نعم
- هل يمكنني المجيء معك
- بالطبع، هو قريب جدا من هنا لن تحتاج سيارة
- لا تخافي لن أقول لك اركبي السيارة ، هيا
- هل ستسامحه؟
-أنا جائع
-لا تتجاهل سؤالي
-عندما تسامحي أنتِ
-بيننا فرق
-قد يختلف الجرح وتختلف عنواينه من قلب لقلب لكنه يبقى جرحاً لا ينسى ، عشرون سنة وأنا أحمل هذا الجرح أتظنين نسيانه سهل .
- لكنه يبقى والدك
- هو نفسه أخبرني أنني لقيط ، فلماذا سأعتبره والدي، لم يكذب هذه الحقيقة الوحيدة في حياتي أنني لقيط .
- وصلنا
- فنجان قهوة بدون سكر
- حقا؟ أهذا أمر

- شاركيني
- لا أحب القهوة
- كاذبة
- لا يهم

في مطبخ المطعم تجهز القهوة بابتسامة سعيدة والجميع مستغرب حالتها

قَدَر: قد لا نستطيع تجاوز الماضي لكن نستطيع المحاولة ، ولا ضرر في المحاولة
قد يحتل الخوف قلوبنا لكن لا بأس أيضا في التمرد مرة
في إحدى الأيام قال لي شخص" ما دامت أفعالك ترضي الله فلا عليك بما يقوله البشر"
أعلم أن ما أفعله الأن لربما خطأ لكنني لا أستطيع أن أقاوم، شيء ما داخلي سُرق مني .

-قَدَر أحدهم في الخارج يسأل عن القهوة وأنها تأخرت
-حسنا سأقدمها .

أخذت فنجاني قهوة وذهبت إلى طاولته المعتادة
-تفضل
-اجلسي
-سأذهب لرؤية سارة
-لدي ما أقوله ، دقيقة فقط
-تفضل
-هناك رأيتكِ أول مرة، كنتِ تقرأين سورة الكهف بصوت عذب للغاية، منذ اللحظة الأولى التي وقعت عيناي عليكِ نسيت كل شيء ، قرأت مرة أن المرء حينما يحب أحدهم يُصبح العالم فجأة عبارة عن شخص ، لم أؤمن بتلك العبارة إلا حينما وقع نظري عليكِ
أصبح العالم عبارة عن قَدَر
تركت كل شيء ثم لحقت بكِ في كل مكان
-ماذا استفدت؟
-وجدت طريق العودة
- إلى ماذا ؟
-إلى الله وكتابه
-سأذهب سيد وِسام ليلة سعيدة
-قَدَر، الحياة أمل وفرص
-أعلم
-ليلة سعيدة

بخطى تائهة اتجهت حيث مكتب سارة لتدخل بصمت

-قَدري أهلا بك
-اشتقت لكِ
- تعاليْ ، لماذا لم تذهبي للبيت؟
- أردت شرب قهوة و أتى معي ضيف
- من هذا ؟
- صديق لي ، يأتي للمطعم دائما اسمه وسام
- وسام! على كل حال اتصل الطبيب النفسي وقال أنكِ لم تذهبي اليوم ، لماذا؟
-لا أعلم ، لست مريضة
- قَدَر من قال أنكِ مريضة ؟
ليست بالضرورة أن يكون كل من يزور طبيبا نفسيا مريض ، عزيزتي أريدك فقط أن تتجاوزي الماضي
-سأذهب غدا ، هيا إلى المنزل أريد أن أنام
-حسنا هيا ، سؤال أولا
-نعم
- من يكون وسام هذا؟
- مجرد صديق بعيد نتاشبه في بعض النقاط
- قَدَر
- سارة أعرف جيدا الحلال والحرام وأعرف ما الذي ستقولينه، لذلك إطمئني لن أنسى مبادئي
- هيا يا قَدَر هيا بنا

في المنزل ببطئ شديد اتجهت ناحية غرفتها
-سارة هل نمت
-لا ، أدخلي قَدَر
- ظننتك خلدت للنوم
- لا ، هل هناك شيء؟
- هل يمكنني النوم هنا هذه الليلة؟
- بالطبع ، تعالي

تسطحت بجانبها بسعادة واضحة على ملامحها

-أول مرة تصل البسمة إلى عينيكِ
- أتعلمين يا سارة نحن على أبواب مرور سنة على تعارفنا، في هذه السنة كنتِ صديقتي وأمي وأختي، أتسائل دائما ماذا كان سيحدث لي لو لم تجمعني بكِ الأقدار
- هو القدر يا قَدَر القدر كله مفاجئات كنت بحاجة لونيس وكنتِ بحاجة لمنزل والشيء الأهم أنا كنت بحاجة إلى ابنة وأنتِ بحاجة إلى أم
حقق الله أمنيتي وشعرت لأول مرة في حياتي بطعم الأمومة
-حقا سارة، هل ترينني ابنة
- وأجمل ابنة يا قَدَري
- أنا أحبكِ جدا
- أتعلمين يا قَدَر ما يجعلني أُكمل حياتي بخير هو وجودي بجانب أشخاص أهتم لأمرهم كثيرا، أهتم بهم كثيرا، وهؤلاء الأشخاص هم أنتِ يا قَدَر أنا أعيش لأراكِ سيدة ناجحة.
- هل يمكنني أن أناديكِ اليوم أمي؟
- وكل يوم إن أردتِ
-أحبك جدا ماما سارة
- وأنا أيضا هيا نامي
- بجانبك هنا ، تصبحين على خير
-وأنت بخير

ضلت تراقبها إلى أن نامت لتزيل عنها الحجاب وتمسد على راسها

-شعرك جميل جدا لا داعي لإخفائه طيلة الوقت

سارة: في الحياة لا نحتاج دائما للحب وحده ولا حتى الحب هو أسمى المشاعر، في الحياة نحتاج الأمان والدفئ والاهتمام حتى نكون بخير ثم يأتي الحب بعدها
قَدَر لم تكن بحاجة للحب بقدر ما كانت بحاجة لصدر آمن دافئ تلقي بنفسها فيه وتنام بدون خوف .

غطتها جيدا لتنام مبتسمة برضى وسعادة للتحسن الواضح على ملامحها .

صباح يوم جديد، يوم هادئ بعد أيام غائمة طويلة

كانت في طريقها للمطعم بعدما استيقظت ووجدت رسالة من سارة تخبرها أن تمر للمطعم كي يذهبا سويا إلى العيادة

قَدَر: أول مرة أشعر أنني أنام بدون محاولة مني للنوم، فجأة غصت في نوم عميق بدون شعور مني
الاطمئنان هذا هو الشعور الوحيد الذي يسيطر علي الأن، أنا مطمئنة ورغم الندوب نوعا ما تجاوزت كل ما مضى

سارة: قَدَري صباح الخير
-أنا جائعة
-الفطار جاهز هيا اليوم سنذهب سويا للطبيب
-أنا بخير لم أعد بحاجة له
-سنذهب وانتهى
-حسنا

جلسا سويا في سعادة تنظر لها من حين لآخر شاكرة الله على الصدفة التي جمعتها بها

سارة: هل هذه حقا هي الفتاة التي وجدتها تحتضن نفسها على كرسي خشبي في الشارع؟
يا قَدَر أنتِ نعمة والحمدلله على هذه النعمة

-هل يمكننا الذهاب؟
-ماذا؟
-لنذهب
-اجل ، هيا

اتجها معا نحو العيادة ، احتضنت ذراعها بكل حب لتقول
-سارتي
-نعم

-شكرا
- على ماذا؟
-أعطيتني فرصة جديدة للعيش
يولد المرء مرتين مرة من رحم الأم ومرة من رحم الألم
وأنا ولدت ثلاث مرات مرة من رحم الأم ومرة من رحم المعاناة ومرة على يد سارة
-قَدر هل تشعرين بنفسك أنك تحسنت عن السابق؟
-سأكون كاذبة إن قلت أنني تحسنت، أنا لا زلت أشعر ببعض الألم داخل قلبي لا زال هناك شيء مكسور بداخلي عجزت عن إيجاده وجبره لكنه يؤلمني ، يؤلمني جدا كلما نظرت إلى نفسي في المرآة
-لقد وصلنا يا قَدَر امسحي دموعك لندخل
-دعيني أدخل بمفردي
-لكن
-أرجوكِ
- حسنا سأنتظرك هنا في الخارج ، اذهبي
-حسنا

دخلت قَدَر وجلست سارة على مقعد في الخارج
سارة: ظننتها بخير لكن اكتشفت أن لا شيء بخير، ربما تقبلت وتجاوزت ما مضى لكنها لم تنسى
-لماذا لم تدخلي ؟
-هل تلحق بنا سيد وسام ؟
-ليس تماما ، لماذا لم تدخلي؟
- قالت تريد الدخول بمفردها
-ما بكِ حزينة
-قَدر لا زالت عاجزة عن النسيان
-الغباء أن تفكري أن النسيان سهل لدرجة يمكننا الجلوس على مقعد في عيادة الطبيب النفسي وسننسى
-ظننت أن هذا سيجعلها تنسى
-جرح العائلة جرح دامي يا سارة يبقى مفتوحا بقلوبنا حتى الممات، نسامح، نغفر، نتجاوز، لكننا لا ننسى ولن ننسى
-هل تعاني أيضا ؟
-وهل على هذه الأرض من لا يعاني؟

سأذهب لا أريدها أن تراني هنا
إلى اللقاء
-إلى اللقاء

في العيادة وعلى الكرسي أمام مكتبه جلست
-ألن تتحدثي
- لا شيء أقوله ولا أريد النوم على ذاك السرير
-لستِ مضطرة، يمكنك الحديث وأنتِ في مكانك
-هل البدء من جديد صعب
-لا فقط يحتاج إرادة وشجاعة قوية
- حينما كنت في منزل والدي أي قبل سنة تقريبا كان كل ما أفكر به هو الموت، الموت كان يحاوطني من كل مكان، أجلس في غرفتي أو بالأحرى مسجونة في غرفتي بانتظار الموت الذي يأتي كل ليلة على هيئة كابوس مخيف يجعلني أرغب بتقيء روحي، حينما خرجت أول مرة من تلك الغرفة سمعت الجميع يقول " هاهي خرجت من منزل والدها حتما لن يقف أحدهم في طريقها وستفعل ما تريد هكذا هي المطلقة التي هربت من منزل زوجها "
هربت هذه الكلمة ضلت عالقة برأسي
ثم قال جمع أخر" لو أن أمها أجادت تربيتها لما تركت بيت زوجها"
لتقول الثانية " هذا حال كل من يتباهى بنجاحه ويغتر بنفسه، يعود مكسورا"
ثم قالت الاخرى " تستحق ما حدث لها أنظروا لها من سيرغب بالنظر لوجهها"
عدت مكسورة باكية لأمي وكتبت لها ما سمعت لتقول "اغلقي أذانك"، صدمت لما أمي ملتزمة الصمت ؟
الست ابنتها ؟
هاجمني الجميع، طعنوا في شرفي وكتبوا عني قصصا لا أعرفها
والعائلة من صغيرهم لكبيرهم لم يقف بجانبي أحد كنت وحدي والجملة التي أسمعها من الجميع هي " المطلقات لا يحق لهن اختيار حياتهن، نحن سنزوجك"
لم يعاقبهم أحد لم يسأل أحد عن القصة الحقيقية صدقوا أنني هربت وتركت بيت الزوج أو سجن الزوج
عشت حياتي منبوذة لم يكن يجلس معي أحد أو يشاركني الأكل كأنني مصابة بمرض معدي
-ألم تخبري أحدا عن قصة الاغتصاب ؟

-كنت فاقدة لصوتي لم أخبر أحداً، وحتى لو أخبرتهم لن يصدقني أحد ، كنت متهما لا يحق له الحديث
-كيف هربتِ ؟
-في ليلة سمعت حديث أمي مع عائلتها، كانت أمها تخبرها أن رجل يبحث عن زوجة تربي أطفاله ويريدها مطلقة فاقترحوا عليه أن يتزوجني ، أصبح هدفهم التخلص مني فقط .
حينها فقط استجمعت قوتي وقررت أن أحلق حتى وإن كان جناحاي مكسوران وفي ليلة بعد الفجر خرجت مودعة سجني نحو المجهول
تلك الليلة وفي تمام الساعة الرابعة فجرا، كان الجو قارس جدا، الشوارع خالية إلا من قطط تحتضن نفسها عند حاويات القُمامة، وأنا أركض خوفا من أن يمسكني أحدهم ويعيدني للبيت
لا أعلم أين سأرحل كل ما أعلمه أنني خرجت بآتجاه المجهول
أوصلتني أقدامي لمحطة القطار لكن الوِجهة أجهلها، لا سبيل للعودة
صوت رجل في مقتبل العمر قال "هل تبحثين عن شيء ؟"
ثم قال هل تَقصدين مدينة معيّنة ؟
عجزت عن الرد واخذت منه قلما وكتبت في ورقة "أريد أول قطار يخرج من هنا ولا يهم إلى أين"
ليقول بهدوء هناك قطار متوجه ناحية الجنوب ، سينطلق بعد نصف ساعة، هل تريدين الذهاب
تَرَدّدت حينها ولم يدم ترددي طويلا لأقرر بعدها الذهاب، كان كل ما يشغلني حينها هو الابتعاد قدر الإمكان عن تلك المدينة التي سلبت مني أحلامي وطموحاتي وقصّت جناحاي وعادت لتقضي على ما تبقى مني ، ركض بي القطار مُسرعا بعدها فقط استطعت أخذ نفس عميق وكأنني طوال تلك الفترة كنت في محكمة أمام قاضٍ واضح على ملامحه أن حكمي الإعدام وفي النهاية قال هذا يُفرج عنه
تنفست كمن قضى عمره داخل البحر يعافر أمواجه ليخرج على قيد الحياة
وبعد ساعات طويلة وصلت هذه المدينة ولم أعرف أين سأذهب ، كان كل ما أملكه هو ملابسي وبعض المال الذي سرقته من خزانة أمي ، أخذتني أقدامي نحو البحر ثم جعلت من كرسي هنالك منزلي سكنته لأيام قبل أن تجدني سارة وتأخذني معها
-هل أنتِ سعيدة بالعيش مع سارة
-سارة وجدت فيها حنان الأم وخوف الأب والأمان سارة هي عائلتي
-هل هذه نهاية قصتك؟

-نعم اليوم أنا ادرس وأعيش من جديد على يد سارة وغدا لا أعلم لكنه حتما سيكون خيرا ، غدا سيكون تعويضا عن كل ما مضى
-إيمانكِ جميل يا قَدَر
-بل حسن الظن بالله
-سيأتي العوض يا قَدَر على هيئة عمل أو دراسة أو سفر أو شخص
-شخص ؟!
-لما استغربتِ ؟ التعويض قد يكون شخصا ينسيكِ كل ما مضى
سارة تعويض بحنان الأم والأب وبيتها تعويض عن التشرد الذي عشتِ فيه والدفئ وحبها كلها تعويضات عن ما مررتِ به، وزواجك الفاشل ستجدين شخصا يجعل الزواج في حياتك أجمل قصة
-لا أريد
- في الحياة كل شيء يحدث صدفة
-هل انتهت الجلسات
-ما رأيك؟
-أنا بخير
- أنتِ كنت بخير منذ أول جلسة هنا، كل ما كان ينقصك شخص يستمع لك بدون طرح حلول فقط استمع لي لا تقل شيئا، وكلما أعدت فتح جروحك تؤلمك طيلة الليل ويأتي الصباح لتشعري بنفسك شخص أفضل
لا يمكنك النسيان ولكن اليوم أنت تخطيتِ ما مضى
لأنك إمرأة مطلقة ظننت أن الحياة انتهت وأن كلامهم صحيح وأنك عار والحقيقة أن حياتك بدأت الان والعار هم وأفكارهم وربك كاف لجلب حقك ممن أذاك أثار جسدكِ ستختفي مع العلاج عند طبيب مختص والضربة على وجهك ستختفي بعملية صغيرة
ستعودين كما كنت سابقا على يد الشخص الصحيح الذي سيحتل قلبك ويجبر ما تبقى منه ويعيدك للحياة
-الله موجود واليوم أشعر أنني بأفضل حال جدا
-سنلتقي كثيرا في المستقبل يا قَدَر
-لا أظن ، سارة تنتظرني في الخارج وداعا سيدي
- لا عليكِ إلى اللقاء يوماً ما يا قَدَر، لكن لا تدخلي هذا الباب بهدف تلقي العلاج أدخليه كصديقة أو أخت تحتاج النصيحة
اليوم أنت بخير انطلقي بعيدا عن الماضي
-فرصة سعيدة

آدم: في الحياة جميع من يظن أنه مريض نفسي بسبب حادث مضى أو تجربة سيئة لم يستطع الخروج منها في الحقيقة هو ليس مريض فقط من حوله جعلوا من نقطة سيئة عقدة كبيرة في قلبه

لا نحتاج إلى أدوية دائما بقدر ما نحن بحاجة إلى شخص يجيد الإستماع حينما نتحدث

بالمختصر أنا لست بحاجة لدواء أنا بحاجة إلى مستمع

الأدوية النفسية الملموسة مجرد عقاقير قد تؤزم وضع الشخص أكثر لذلك ألجأ مع جميع من يقصدني العلاج عن طريق التحدث

دموع قَدَر وبكائها وانهيارها حينما كانت تتحدث كانت هي العلاج الذي لم تنتبه له إلا حينما ختمت قصتها

لكن هل هذه هي نهاية قصة قَدَر أم أن لقدرها رأي مختلف عن رأيي.

خرجت مطمئنة مبتسمة رفعت رأسها للسماء لتذرف دمعة فرح ثم ركضت لأحضان سارة

-مابك

-لا شيء فقط شكرا لأنكِ في حياتي

- هل انتهت الجلسات أنتِ بخير

- أنا بخير بفضلك

- لنذهب إلى المطعم ونحتفل

-سأذهب للبحر ثم إلى مكان أخر وآتي مساءا

- سأذهب للمطعم أنا وتعالي هناك لا تذهبي للبيت

-أراك لاحقاً

سارة: أول مرة أرى السعادة واضحة في عينيها ، الحمدلله على كل شيء

اتجهت سارة لمطعمها وذهبت قَدَر للمكان الذي جلست فيه أول مرة في مكانه المعتاد يجلس خائفا مما هو قادم

- توقعت أن أجدك هنا كالعادة

- وأنا توقعت قدومكِ

-ما رأيك أن تذهب معي لمكان جميل بشرط أن نذهب مشيا

-موافق

-بدون سؤال عن المكان؟

-لا يهم ، المهم أنه يعجبك، اجلسي منظر البحر في هذا الجو الهادئ جميل جدا

- لقد تعافيت

-لست مريضة لتتعافي قولي تجاوزت

- كنتَ هناك ذاك اليوم أليس كذلك؟

-أي يوم

-اليوم الذي فقدت فيه السيطرة على نفسي وأنا أتحدث عن الماضي واليوم الذي أخبرت فيه الطبيب أنني سأذهب من هذه المدينة

-_____

-لما التزمت الصمت؟

-هو من أخبركِ
-من ؟
-آدم
-بل الياسمين
-الياسمين؟
-عطر الياسمين هادئ ولا يزول
حينما كنت تأتي إلى هنا وتقف بعيدا عني تراقبني كنت أشم عطر الياسمين، تماما كما كان يسيطر على المكان في المقهى حينما تأتي
ذاك اليوم رغم غيابي عن الوعي استنشقت نفس العطر وحينما استيقظت شممت نفسه على يدي أي أنك لمست يدي
ثم المرة التالية كان عطر الياسمين مسيطرا على الغرفة وتأكدت من وجودك حينما دخلت العيادة وقالت المساعدة أن آدم مع صديقه الآن، وحينما دخلت لم أجد أحدا الياسمين هو الذي فضح وجودك رغم هدوئه حتى الكتب التي أخذتها كان عطرها يسمينيا والرسائل والورد والأن أيضا الياسمين مسيطرا
-أنا أسف
-على ماذا ؟
-لأنني لمست يدك
-لماذا تلحق بي يا وِسام ، هذا كل ما أريد معرفته ، لماذا خلت المدينة من الناس إلا منك؟
-اتعلمين يا قَدَر عشت حياتي بأكملها غريبا، عن الناس عن المجتمع ، عن الأصدقاء والمعارف حتى عن نفسي كنت غريب، أجول الطرقات وحيدا بحثا عن شيء ما لا أعرفه ، كل ما كان يجول خاطري هو ماذا أفعل أنا في هذا العالم ، شعرت أنني لاجئ بدون وطن أو هوية
حتى رأيتك ، دخلت حياتي صدفة فأصبح لي شيء أخر يشغلني
لم أعد غريبا ملاحقتك جعلتني أعرف نفسي أول مرة أقابل فتاة طبيعية وأول مكان أخذتني له هو المسجد ثم ملجأ الأيتام ثم البحر ثم الكتب ثم اكتشفت أن العالم بالنسبة لي هو قَدَر وأن منزلي هو كل مكان تقف فيه
المسجد أصبح منزلا لي والبحر أيضا والمقهى والملجأ
لم أعد غريبا وجدت نفسي الضائعة حينما وجدتكِ، عرفت معنى أن ينام المرء وهو يستغفر ويدعي ثم يستيقظ وقلبه مرتاح
عرفت معنى الإنتظار، انتظاركِ هنا عند الكرسي الذي احتضن بؤسنا معا
حتى منزلي لم تعد جدرانه رمادية كئيبة منذ احتضن صورك وهو يشع نورا

واليوم إن سألني أحدهم أين وطنك و إلى أي مكان تنتمي سأكتفي بذكر إسمك.
-لكنني إمرأة مُطلقة
-أعرف كل شيء يا قَدَر كل شيء
-من آدم ، علمت أنه سيخبرك
-لا آدم يحترم مهنته هو نصحني بالابتعاد ، أمك أخبرتني
-أمي؟
-سارة ، كانت خائفة من رحيلك مجددا وتركها لذلك أخبرتني أملا في أن أغير رأيك بعدما أخبرتها أنكِ شخص مهم في حياتي ولا يكتمل يومي بدونك
لكن لا يهمني كل ما مضى ، لا أهتم لشيء سوى وجودك بجانبي ومعي ، يمكننا البدء من جديد معا، سنعالج جراحنا معا ، الحياة قطار يا قَدَر سيتوقف في محطة بها مسافرون متجهون إلى جنازة ومحطة مسافريها متجهين إلى حفل زفاف أو ولادة
سيحملهم معا ذاك يبكي وذاك يرقص
لا تتوقفي أنتِ في محطة الحزن انطلقي للمحطة التالية علها تكون سعادة الذي مضى لن يعود، كل ما مضى درس علمنا كيف نكون بخير بمفردنا .
- هيا لنذهب إلى المكان الذي قلت لك
-قَدَر
-ألم تتعب من التحدث ؟ هيا
-حسنا لنذهب

بصمت يمشي بجانبها ينظر لها من وقت لأخر ليجد أنظارها لا تفارق الأرض
-قَدَر
-لقد وصلنا

رفع رأسه ليجد نفسه أمام ملجأ الأيتام
-لما نحن هنا ؟
-اشتقت لهم وأريد توديعهم
-توديعهم ، هل ستذهبين ؟
لا يمكنك الذهاب قَدَر لا تذهبي
-سأغيب عنهم فترة بسبب امتحاناتي ودراستي هذا كل شيء لن أذهب لمكان
-حسنا الحمدلله
- الحمدلله!

-لندخل يا قَدَري
- وقَدري! هل أنت بخير
-أنا بخير جدا ، لندخل

دخلا معا يحاول كلا منهما إخفاء ابتسامة تحاول الخروج على شكل ضحكة سعادة
-لا تضحك وسام
-أسف

قبل الرد صرخ الأطفال ركضا إليها بسعادة يقول كل منهم للأخر" شمس هنا شمس هنا"
-شمس؟
-تلك قصة طويلة
-عنوانها يا أنسة؟
-يقولون أنني أنرت حياتهم فأطلقوا علي اسم شمس مثل صاحبة الميتم هذا عنوانها
-اسم جميل
-ربما ، لندخل

وسام: طفلة ، لا زالت طفلة جلست أراقبها تزرع الأزهار تلعب مع الجميع إن سألت أحدهم كم عمرها سيقول حتما لم تتجاوز الخامسة عشر سنة
شمس هي شمس على هيئ إمرأة تنشر الدفئ أينما حلّت
-هل يمكنك أن تكتب على هذه اللوحة عبارة لأجل شمس
صوت طفل انتشله من شروده بها ليقول له
-ماذا تريد أن أكتب بالضبط؟
-لا أعلم نحن نريدها مفاجأة لها

أمسك اللوح الخشبي وكتب عليه عبارة بخط جميل ثم قدمها للطفل
-لكننا نريد تعليقها على تلك الشجرة
-المطلوب ؟
-هل يمكنك أن تعلقها لأجلنا؟
-بالطبع

قام معهم ثم علقها كما طلبوا وذهبوا لإحضارها

وسام: أول مرة أعيش هذه الاشياء حولي الاطفال والورد أشعر أن محمود درويش كان محقا عندما قال " على هذه الأرض ما يستحق الحياة"

جاء بها الأطفال وهي مغلقة العينين أمامه لتفتح عينيها وتنظر له
-هل هذا هو المفاجأة؟ أنا من أحضرته

ليقول الجميع بصوت مرتفع :
انظري خلفه
تحرك هو مبتعدا عن المكان بصمت وجلس على كرسي بعيد يراقبهم
تقدمت لتقرأ ما كتب ببسمة
" في هذا الميتم المظلم والحياة القاسية دخلت شمس على هيئة إمرأة أنارت ظلمة أيامنا "

احتضنت الجميع بسعادة ثم ذهبوا مبتعدين قصد اللعب
لنذهب هي وتجلس إلى جانبه بهدوء

-شمس على هيئة إمرأة
-بالنسة لهم فقط
-وبالنسبة لك أنت ماذا؟
-وطن، وطن على هيئة إمرأة
- سارة ستجهز حفلة الليلة بمناسبة تجاوزي لكل شيء، إذا أردت يمكنك أن تأتي أيضا
-لماذا ؟
-لأنك صديق
-أقصد لماذا تغيرين الموضوع في كل مرة أقول فيها شيء
-لأنني لا أملك ردا
-لأنك خائفة من الرد يا قدر ، خائفة
-هل ستأتي
-مجددا تغيرينه، سآتي
-أحاول البدء من جديد، لم تتعافى جروح الماضي بعد سيد وسام
أتسائل دائما ما الذي سينال إعجاب شخص ما بي وأنا مشوهة ؟

-من ينظر للروح لا يهمه المظهر
-لنذهب للعب معهم
-متعب
-نسيت أنك عجوز
- جبر الله خاطرك
- أي خدمة سيدي
ابتسم لها ليقول :
هيا لنلعب ثم نذهب
- سيد وسام ، أنت أيضا نجم بعيد
-لست بعيدا أنتِ فقط من يبتعد ، هيا

يحدث أن نلتقي صدفة مع أشخاص لا يشبهوننا في شيء ليصبحوا فيما بعد أقرب الناس لقلوبنا وأكثر من يفهمنا من نظرة أعيننا فقط .
ويحدث أن يعالج الغريب الجرح العميق الذي أحدثه القريب بقلوبنا

في المطعم كانت سعيدة جدا وهي تجهز الاطباق المفضلة لابنتها ، ابنتها التي أنجبتها من رحم الأيام

سارة: مجددا سأقول ليست كل من حملت ببطنها تسعة أشهر تصبح أُمّاً ولا كل من أرضعت تستحق لقب أم
الأمومة تضحية سهر تعب تفكير اهتمام خوف وفرحة لأقل إنجاز يفعله الإبن
لم أحملها ببطني لكنني حملتها بقلبي لشهور وليالٍ وساعات
ابنتي وإن نفى العالم ذلك

-سيدة سارة لقد أتت قَدَر ومعها شخص أخر
-سأرى

خرجت سارة لتجد قَدَر تجلس على طاولة مع وسام
-قَدَر ؟
-مرحبا سارتي
-من هذا ؟
- قال أنه جائع وأنا أيضا
-سيدة سارة قَدَر تعرف كل شيء
-كل شيء سارتي
-اجلسا سآتي بالاكل

دخلت ركضا خوفا من ردة فعلها لتعود حاملة الأكل بخوف من غضب قَدَر، إلا أنها وجدتها تبتسم له وهو يقرأ شيئا في أحد الكتب

قَدَر: السعادة ولأول لا تذوب، نبضة قلب صافية هادئة تتلوها الأخرى والسكون يسيطر على روحي
لم أنسى كل ما مررت به لكنني تقبلته والغد بإذن الله جميل

يوم جديد أتى ، يوم على عكس كل الأيام
سطعت الشمس بخجل من وراء الغيوم ورقصت الفراشات حول الأزهار
من قال أن الظلام لن يزول
عاد النور
وبعد ليال رعدية طويلة أنبتت الأرض وصارت تنبض بالحياة

2022_08_04

-يقال أن التوليب الأسود في الحقيقة كان أبيض لكنه قبل عيون إمرأة تكحلت وسرق الكحل منها .
-لربما ارتدى الأسود حدادا على دمعة سوداء نزلت من عين إمرأة كسرها الزمن
- لا التوقع الأول أفضل
-متى أتيت؟
-منذ زمن طويل سيدتي
- هل تريد كتابا
-لا قهوة
- سكر ؟
-أنتِ هنا
-تعلم جيدا أنني أفضل الشاي
-ليكن أريدها بدون سكر وكتاب للعراب أيضا
-أنت تحفظ كتب العراب أيها الكاذب
-سأكمل أنا الحديث مع التوليب

دلفت للداخل مبتسمة

قَدَر: العوض هو وجوده بحياتي ، لقد مرت سنتين الآن ونحن في عام جديد عام حققت فيه الكثير تغلبت على الماضي وتخلصت منه ، إلا أنني عجزت عن العودة لتلك المدينة التي سلبت مني كل شيء وكسرتني
سامحت لكنني لم أنسى
وهو ، هو لم يتركني ولأنني مدركة لحجم الخطأ الذي أرتكبه كلما جلست للحديث معه ، أجبته في ليلة باردة على البحر بنعم حينما أراد البقاء معي مدى الحياة

اختفت أثار جسدي بعد شهور طويلة من العلاج ، كنت رافضة لإخفاء الضربة على جبيني حتى لا أنسى ما مررت به
لكن سارة أخبرتني أن هذا ظلم له، لا يمكن أن يبدأ المرء حياة جديدة وهو يعيش في حياته الماضية فوافقت على إجراء عملية لإخفائها
عادت ملامحي كما كانت عاد قلبي ينبض حبا للحياة وعدت كما كنت قبل خمس سنوات
إلا أنني تعلمت الكثير وفهمت الكثير ورغم كل ما عرفته لا زلت أحب الحياة واعذرها وأدافع عنها كلما قال عنها أحدهم ظالمة
لم يشأ قَدَري أن أحقق حلم طفولتي ، لكنني اليوم أخطو نحو حلم جديد و لا أحارب للوصول إليه وحدي هو معي ، لم يتركني حتى عندما هجرته لأيام خوفاً من تكرار الماضي .
ولدت من جديد هنا في هذه المدينة وعلى يد سارة و وِسام

-يا شمس

ولأنه يرى إسم قَدَر حزين وكئيب اختار لي اسم شمس لأكون مشرقة دائماً واليوم قررت فعل شيء لأجله كما فعل كل شيء لأجلي

-القهوة جاهزة ؟
- نعم ، هل يمكنك المجيء معي لمكان لكن دون أن تسأل أين ؟
-لن أتي مشيا
-سنركب حافلة
- أبدا يا شمس أبدا
-حسنا ، حسنا سنأخذ السيارة
-موافق

نسيت أن أخبركم قليلة هي المرات التي أركب فيها السيارة أو مواصلات بشكل عام كلما أردت الخروج أخرج مشيا على الأقدام حتى وإن كان مشوار الطريق طويل
كل مرة أخرج كانت يدي بيده ولا يكف عن التذمر
طفل على هيئة رجل كبير

في الطريق اعتلت ملامحه الخوف وشعر أن شيئا ما على وشك الحدوث

-هل أنت بخير؟
- أنا بخير ، فقط ، نحن إلى أين سنذهب؟
-هيا توقف هنا ودعنا ننزل
-حسنا

أوقف سيارته ونزل بخوف وهي يظهر عليها التردد والخوف

-لنذهب وسام
-هيا

خطوة خطوتين ثم وجد نفسه أمام منزل كبير كتب عليه "دار العجزة"
-وداعا قَدَر
- وسام لندخل
-هذه لعبة ، أخبرتك لا تلعبي معي هكذا ، لما نحن هنا
-لأجل والدك
-أنا لقيط لما لا تفهمين ، لا أهل لي أنا جئت من الشارع لما علي تكرار هذه الأشياء على مسامعك دائما ؟
-لست كذلك يا وسام
-أنا كذلك
-لندخل فقط الحياة لا تستحق أن نعيشها بقلب يحمل الحقد والكره اتجاه الأخرين
-لا أحمل شيئا بقلبي ، لنعد إلى المنزل ، كفاكِ حديثا
-جرب أن تدخل ، فقط خمس دقائق لأجلي فقط
-لما تستغلين مكانتك لتجعليني أفعل ما تريدين ؟
لما أنتِ أنانية ؟
أخبرتك لا أريد رؤيته ، ليس أبي
-أسفة ، أردت فقط أن تسامح والدك وتعيش حياة هادئة حتما لن ترغب بإبن يلقي بك في دار العجزة حينما تكبر
-أنا لن أقول لأطفالي أنهم أبناء شوارع، لن اسجنهم ولن أتعامل معهم كما عاملني هو إفهمي هذا جيدا
-حسنا فهمتك ، أعتذر لك ، لنذهب

صمت طويل خيم على الأجواء

لم يحتمل نظرة الحزن وخيبة الأمل على ملامحها ليقول بهدوء :
-خمس دقائق فقط، خمس دقائق، لن أقول شيئا ، لن اقترب منه ولا تنسي أنت تفتحين جرحا قديما بقلبي ، لا تنسي
تعالي معي

دخلا معا ليسألا عن إسم معين وتأخذهم الممرضة إلى غرفة ما
توقفا على الباب ليضغط على يدها دون انتباه للالم البارز على ملامحها
- من أنتم؟
صوت رجل عجوز يجلس على سرير أبيض
-مرحبا أيها العم
-أهلا ، من أنتم
-أنا إسمي قَدَر وهذا وِسام
-وِسام!! هو يشبهني في وقت سابق
-هذا وِسام ابنك
-وِسام !
نهض العجوز ليقترب منه بضعف شديد ويردد بدموع
-وسام بُني
عاد هو خطوات للوراء ليقول
-لنذهب يا قَدَر لقد نفذت ما طلبتيه مني هيا بنا

خرج من الغرفة ليتركها خلفه
-هو غاضب مني
-بل مجروح منك
-لكنه ابني
-لكنك لم تكن أبا له، عجزت أن تكون أب لإبنك الوحيد كيف سيكون هو إبنا لك؟
-أخبريه أن يدخل ، أرغب فقط باحتضانه قبل رحيلي
-لقد كلفني جلبه إلى هنا الكثير ، لم أجلبه لأجلك بل لأجله، لا أريده أن يخاف من كلمة أبي حينما يصبح أبا
-هل هو متزوج
-هو زوجي ، تزوجنا منذ سنتين تقريباً
-خديني إليه ، لا أريده أن يسامحني فقط أريد احتضانه

سمع من خلف الجدار كل ما قيل ، ليركض في الممر هربا منه
إلا أن صوتها أوقفه ليستدير ويجدها تبكي
كانت تعلم أن الشيء الوحيد الذي لن يحتمله هو دموعها وأجادت استغلالها ليعود إليها خائفا عليها
-هل أنتِ بخير ، لما صرختِ ؟
-يريد رؤيتك
-ارجوكِ قَدَر يكفي إلى هنا .
-فقط مرة ، قابله مرة فقط
-لا تنسي ما تقومين بفعله ، لا تنسي

وقف أمامه ليهمس العجوز بخجل
-ابني
-لا تعِد هذه الكلمة مجددا، كن بخير وداعاً
-وسام بني ، لحظة
- وسام؟ وبني؟ أكثر من عشرين سنة وأنا أنتظر أن تناديني باسمي عوضا عن اللقيط ، فعلت كل ما تأمرني به فقط لتناديني بإسمي كانت أمنية حياتي أن يناديني أبي بإسمي
والأن فقط وبعدما نسيت أن لي أب نطقت بها
يا سيدي أنا لست إلا لقيطا جاء إلى هذه الحياة عن طريق الخطأ
أليس هذا ما كنت تقوله دائما
لم أشأ أن أكون طبيبا لكن حينما أمرت نفذت أنا فقط لترضى عني
أردت أن أكون ابنا صالحا حتى تفتخر بي وتقول هذا ابني عوضا عن كلمة أخذته من الشارع وجعلته رجلا .
لم أكن أريد منك شيئا غير أن تُشعرني أنك أبي وأنني إبنك
حتى وإن كنت لقيطا هذا ليس خطئي ، هذا خطأك أنت ، أنت من سيحاسب أنا بريء
- فقط أريد أن أصلح ما مضى
- الغباء أن تفكر أنك بإمكانك إصلاح جرح عمره سنين في خمسة دقائق، اليوم أنت لا تعني لي شيئا ولو كان الامر بيدي لما تركت دمك يجري في عروقي
كن ممنونا لها لأنها السبب في رؤيتك لي ، أما أنا فقد قطعت عهدا أن لا أزور قبرك حتى.

دمت بخير سيدي
لنذهب يا قَدَر
-احتضنه لمرة فقط ، قد تندم لاحقا
-لا تضغطي على جرحي أكثر أرجوكِ ارحميني
-لا أريد أن يلقي بك إبنك في نفس المكان بعد ثلاثين سنة، سامحه
-تطلبين الكثير
-سامحه لتعيش بخير لنكون بخير بدون ألم الماضي

عاد مجددا ليقف أمامه بلهفة ألقى العجوز بنفسه بين دراعيه ليتردد هو قبل أن يبادله العناق

دموع صامتة نزلت على خديهما معا
هو يجرب حضن أباه لأول مرة
وهو يبكي ندما على كل لحظة فرح أضاعها من بين يديه لتحرمه ابنه طيلة عمره ، عاش حياته وحيدا في الوقت الذي كان بإمكانه العيش بين أسرة دافئة بعيدة عن برودة هذا المكان
-هل ستسامحني
-أرجوك سيدي لا تطلب أشياءً فوق طاقتي
-حسنا بني أسف
-وداعا

خرج تاركا المكان ، لتقف هي مبتسمة في مكانها
-لن يسامحني
- يحتاج وقتا طويلا أيها العم
-شكرا لكِ ، لن أنسى ما فعلته أبدا
-كل ما فعلته كان لأجله فقط، دمت بخير سيدي

تركها في المطعم ورحل بصمت قاتل
-هو غاضب منك
-لا يا سارة هو فقط فتح جرحه ليعالجه، سيكون بخير
-أتمنى

قَدَر: أدرك جيدا هذه المرحلة التي هو بها ، في السابق كنت مثله أفتح جرحي وأبكي ثم أعتزل كل شيء وأختلي بنفسي ثم في الصباح أستيقظ بشكل أفضل وجرح يلتئم شيئا فشيء
هو كان في حاجة لهذا اللقاء حتى يتجاوز هذا الجرح ولا يخشى فكرة أن يصبح أبا.
ولأنه يشبهني علمت جيدا أين سيكون الان

على البحر للمرة التي لا تعد يجلس باكيا

وسام: لم أكن مستعدا لهذا اللقاء لا اليوم ولا غدا ولا حتى السنة القادمة ، بعدما اعتدت أن أكون وحيدا ولا عائلة لي غيرها حملتني ووضعتني أمامه ليُفتح جرحاً جاهدت كثيرا لإخفائه
استغلت مكانتها بقلبي وأنني لا أرفض لها طلبا لتأخذني لمن جلدني لسنين طويلة

-يا عم هذه لك

أخرجه من شروده صوت طفلة تقدم له وردة ورسالة
-ما هذا
-فتاة قالت لي قدمي هذه الأشياء لذاك الرجل هناك
-شكرا لكِ

ذهبت وفتح الرسالة ليقرأ بصوت هادئ " أنبت الربيع في قلبي حينما وجدتك، عادت لي حياتي حينما ظهرت أمامي، لا يحق لك الذبول سيدي
ملاحظة: هل يمكنني الجلوس بجانبك ذاك مكاني منذ شهور؟"
- لكنه مكاني منذ سنين يا شمسي
-تقصد مكاننا
-متعب جدا
-لنصمت في حضرة الغروب

-هل ستكون الأمور على ما يرام؟
-لا يهم ، المهم أن نكون نحن معاً
-سنكون معاً
-لا أستطيع أن أسامحه
-هو لم يطلبك لتسامحه هو متفهم جدا لما أنت به
-هل ستسامحيهم يوما ما
-أنا سامحتهم لكنني خائفة
-من ماذا ؟
-من العودة ، سيقولون عادت المطلقة متزوجة
-أخبرتك لستِ مطلقة ، اعتبري كل ما مررت به مجرد حادثة اختطاف أو سجن أو أي شيء
-أنا أسفة
-لا بأس أنظري إنه الغروب
-أنظر أنت أيضا
-لا يروق لي أكثر من ملامحك شمسي

مرت شهور أخرى وها أنا على وشك تحقيق الحلم الذي أنجبته في هذه المدينة
كل يوم أخلق من جديد
استطعت أن أعالج جروحه بعدما عالج جروحي
ادركت اليوم أنني لم أكن بحاجة إلى طبيب نفسي ولم أكن مريضة
كان كل ما ينقصني هو الأمان
هذا الشعور الذي عشته بين سارة اللتي كانت أُمّا وأبا لي ووسام الذي فعل كل شيء لأكون بخير
اليوم أقف في نفس المحطة التي نزلت فيها حينما قدِمت إلى هنا لأقول شكراً للقطار الذي توقف بي هنا فوجدت نفسي .

لم يرضى أب وسام أن يعيش معه بعدما ذهب إليه ليستطيع تعويضه عن كل تلك السنوات التي حرم منه وعاشها في دار العجزة
إلا أنه رفض وفضل البقاء هناك حتى تحين ساعة رحيله وعقابا على كل ما خلّفه بقلب ابنه

وأنا اليوم وبعد سنوات أعود في نفس القطار الذي هربت فيه من مدينتي لكنني لست وحيدة كتلك المرة، معي أمي التي آوتني من على الرصيف والرجل الذي عوضني عن كل تلك القسوة والبؤس الذي عشت فيه
والأهم من كل هذا أنني أعود للمدينة التي كسرتني هي وسُكانها وأنا شخص جديد بقلب جديد وماضٍ منسي .
-متوترة؟
-لا أنا بخير
-لن تنسيني أليس كذلك؟
ستعودين معي إلى منزلي وستأتي للمطعم ، لن تبقي معهم أليس كذلك؟
-ما بك سارة إهدئي، سأعود حياتي هناك وكل شيء يتعلق بي هناك
-سارة أنسيتِ أنها زوجتي ؟
سنعود معاً
-فقط أردت التأكد

ارتفعت ضحكاتهما سويا على خوفها لتشاركهم الضحكة ساخرة من نفسها .

وصل القطار إلى وجهته وعادت قَدَر لمدينتها ، لكن كيف سيكون اللقاء ؟

قَدَر: وصلت أخيرا كبر الخوف والتوتر بداخلي
ترى كيف سيكون استقبالهم لي ؟
أسئلة كثيرة ورغبة كبيرة في البكاء ، لم يهونها شيء غير يداهما التي كانت تضغط على يداي تشجيعا لي على المضي قدما.
لقد عدت، عدت حيث منزلي الذي عشت فيه أيام جميلة وسيئة
عدت لمدينتي وها أنا أقف أمام منزل أبي
جرس الباب يُضرب وخطوات شخص قادم يردد:
-لحظة أنا قادمة

أنا أسمع فقط نبضات قلبي التي صم صوتها أذناي ، فتح الباب لتلتقي عياني بعينيها
هذه أمي ، أمي التي أنجبتني والتي أشبهها لحد كبير
لا أتذكر شيئا غير ركضي لأحضانها وانخراطها في بكاء مرير مرددة "أسفة قَدَري"
ثم تقدم رجل من خلفها لبحتضنني معها مرددا "أسف لم أكن أبا جيدا"

تمت و الحمدلله

هناك رسالة جديدة من قَدَر لكن هذه المرة إلى الناس جميعا

لا تتزوجوا إن كانت غايتكم فقط إنجاب فتاة وتزويجها وحرمانها من حياتها وأحلامها
جميعنا يحق لنا أن نختار الحياة التي نريد أن نعيشها
لنا أحلام نريد تحقيقها
الزواج ليس كل شيء ولا حتى الطلاق عار ولا المطلقة فضيحة لعائلتها
احتضنوا بناتكم وادعموهم ليحققوا ما يرغبن به
وتذكروا دائما " رفقا بالقوارير"
ما جوابكم غدا إن سُئلتم أمام الله عما فعلتم ببناتكم

وتذكروا الحياة لا تتوقف عند محطة معينة واصل السير لتصل لما تريد تمسكِ بالله والقرآن وآفعلي ما يحلو لكِ طالما أفعالك ترضي الله

خولة محمد جميل